

٩٤٣٤٥

العدد السادس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السنة الثانية

الاشتراكات

١٠٠ عن سنة كاملة  
٦٠ عن نصف سنة  
للطلاب وجنود الجيش  
٨٠ عن سنة كاملة  
٤٠ عن نصف سنة  
٢٥ عن ثلاثة أعداد  
يضاف إليها أجرة  
البريد خارج القطر

صاحب الامتياز

ورئيس التحرير

سيد رمضان

الإدارة:

٣٢ شارع النيل

بالروضة بالقاهرة

تليفون : ٢٤٤٥٥

المسلمون

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربي

سنتها عشرة أعداد

أبريل سنة ١٩٥٣

شعبان سنة ١٣٧٢

مع ذكرى الاسراء والمعراج :

مركز تحقيق كتابي علوم إسلامي

فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ

مضى شهر رجب ، وذكر المسلمون فيه ليلة الإسراء والمعراج ، واحتفلوا بالذكرى في كل أقطارهم . واحتفالهم بها أمر لم يعتده أسلافهم الأولون ، ولم يؤثر عنهم شيء منه ، لأنهم كانوا يعيشون في معاني ذكريات نبيهم صلى الله عليه وسلم وحقايقها ، وكانوا بذلك في غنى عن الاحتفال ، ولم تكن أمثال هذه الأيام المباركة لتذكرهم بشيء نسوه ، وكيف ينسون ؟ ...

إنهم إن نسوا عبرة «الإسراء والمعراج» في صلة نبيهم بالسماء ، وفي أمانته على الغيب ، وفي وجوب التسليم بكل ما بلغ عن ربه ... فقد نسوا أصل دينهم ، وإن نسوا عبرة «الهجرة» في ابتلاء الله لأهل الحق ، وفي معنى الفداء والتضحية ، وفي أن الصبر على الأذى والبلاء بعمد النصر ... فقد نسوا ذروة السنام من فرائض الإسلام ، وإن هم نسوا عبرة «المولد» ... في جلال النبوة وكمال النبي ... فقد أتوا الحق من غير باب ، وأدجوا مع الهوى والباطل دون سراج منير ... وهكذا مع كل ذكرى وعبرة .

٩٤٣٤٥

السنة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العدد السادس

الاشتراكات

١٠٠ عن سنة كاملة  
٦٠ عن نصف سنة  
للطلاب وجنود الجيش  
٨٠ عن سنة كاملة  
٤٠ عن نصف سنة  
٢٥ عن ثلاثة أعداد  
يضاف إليها أجرة  
البريد خارج القطر

المُسْلِمُونَ

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربي  
ستة عشر أعداد

صاحب الامتياز

ورئيس التحرير

سعيد رمضان

الإدارة:

٣٢ شارع النيل

بالروضة بالقاهرة

تليفون : ٢٤٤٥٥

أبريل سنة ١٩٥٣

شعبان سنة ١٣٧٢

مع ذكرى الإسراء والمعراج :

فَبَيَّنَّا الْمَقْدِسَ الْحَرَامَ

مضى شهر رجب ، وذكر المسلمون فيه ليلة الإسراء والمعراج ، واحتفلوا بالذكرى في كل أقطارهم . واحتفالهم بها أمر لم يعتده أسلافهم الأولون ، ولم يؤثر عنهم شيء منه ، لأنهم كانوا يعيشون في معاني ذكريات نبيهم صلى الله عليه وسلم وحقائقها ، وكانوا بذلك في غنى عن الاحتفال ، ولم تكن أمثال هذه الأيام المباركة لتذكرهم بشيء نسوه ، وكيف ينسون ؟ ...

إنهم إن نسوا عبرة «الإسراء والمعراج» في صلة نبيهم بالسماء ، وفي أمانته على الغيب ، وفي وجوب التسليم بكل ما بلغ عن ربه ... فقد نسوا أصل دينهم ، وإن نسوا عبرة «الهجرة» في ابتلاء الله لأهل الحق ، وفي معنى الفداء والتضحية ، وفي أن الصبر على الأذى والبلاء بعده النصر ... فقد نسوا ذروة السنام من فرائض الإسلام ، وإن هم نسوا عبرة «المولد» ... في جلال النبوة وكال النبي ... فقد أتوا الحق من غير بابه ، وأدلجوا مع الهوى والباطل دون سراج منير ... وهكذا مع كل ذكرى وعبرة .

فكيف ينسون ؟ !

أما نحن ... نحن مسلمى هذا الزمان ... فقد انقطع ركبنا عن نور الحقائق التى عاش فيها سلفنا الأول الصالح ، ولبسنا شيئاً من ظاهر الإسلام على باطن أليم من أوهامنا وأوجاعنا وأمانينا ، وحقى هذا الظاهر الملبوس لم يسلم من الخرافة والدخل . وصرنا نذكر الحقائق حين نذكر ربها ، واتخذ بعضنا للذكرى مواسم من كل عام ، وربما لا يكون من ذلك بأس إذا وقف عند العبرة لا يتجاوزها ، وإذا حرص على بساطة المظهر التى اتسم بها الإسلام فلم يبتدع فيه ما ليس منه ، وإذا لم يدع لشيء قط أن ينال من روعة التوحيد فى أنفس الناس ، وهو يدعوهم إلى جمال الأسوة فى النبي الحبيب صلى الله عليه وسلم .

إننا حين نرتضى هذه المواسم على هذا الأساس ، وفى هذه الحدود ، فقد جعلناها « محطات » ندفع المسلمين بينها من تذكرة إلى تذكرة ، حق يذكروا ويعوا ، وحق تستدير حالهم على هيئتها الأولى فى أسلافهم ، فيستغنوا عن المظهر بالخبر ، وعن الأحفال والمواسم بالتذكر المتجدد الدائم لما أمرهم الله أن يذكروه .



وقد قدر لى — منذ أيام — أن أشهد احتفالاً كريماً بذكرى الإسراء والمعراج فى بيت المقدس ، حضرته وفود من الأقطار العربية ، واحتشد له إخواننا أهل القدس ، وغشى الجمع هذه الليلة كثير من المعانى الكبيرة ، وسرت فيه كهرباء .. وانتحيت جانباً من قاعة المدرسة العمرية أرقب الجالسين تارة ، وأصيحخ سمعى إلى المتحدثين تارة أخرى ، وتراود نفسى طيوف من عبر الذكري فأحلق معها فى آفاق مشرقة فسيحة ، وتأخذ عيني مشاهد الهوان والأسى فى الواقع الممسوخ المحيط بالمسجد الأقصى ، فيغور قلبى بين جنبى ، وأحس بمثل حزة السكين تقطع نياطه ، وأكاد أذوب خزيًا وحسرة .. ماذا أرى ؟

على بعد مئات من الأمتار من كل ناحية حواليك : يهود معسكرون فى بيوت وقلاع ، وفى الجامعة العبرية ومستشفى الهداسا ، يدبرون الفصل الجديد من مؤامرتهم على المسلمين ... لهدموا المسجد الأقصى ويقيعوا مكانه هيكل سليمان ، وليجلبوا كل مسلم عن الأرض المقدسة حتى تبقى خالصة لدنس اليهود .. ؛ وبين أسوار القدس القديمة آلاف من المسلمين آدهم العوز ، وأنهم كهم قسوة تكاليف العيش . وليست الفاقة هى كل



ما يعانون ، فهم يقضون أيامهم ولياليهم الصعبة الطويلة بين آثار الدمار والهوان المائلة أمام أعينهم ، وذكريات الفزع والهول والضحايا العزيزة في المعركة الهزيلة التي لا يدرون كيف بدأت وكيف انتهت ، وأحلام الغد المجهول الذي لا يعلمه إلا الله .

وإخواننا أهل بيت المقدس هم سدة المسجد الأقصى وصف المسلمين الأول في المعركة ، فكان حرياً بالمسلمين جميعاً أن يمدوا إليهم يداً ، وأن يهيئوا لهم ما يعينهم على الثبات أمام الإغصار والفتنة ، فإن اليهود المحيطين بهم مزيج من كل جنس ولون ، والشر الذي يراودهم شرهات مدمر لا يفتى معه الدعاء والأمانى ، ولا يطفىء سعيرته إلا أن يهدم الأقصى ويرقص اليهود على دم المسلمين الغزير رقصة النصر — كما رقص إخوة لهم من قبل — بل أن سيناء ودلتا مصر من مطامعهم ، وملسكهم المنشود من دجلة إلى النيل . ومواطن خبير وبنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة في برناجمهم ؛ فبأى حق يترك إخواننا في القدس ، وفي سائر الأجزاء الباقية من فلسطين ، يصلون وحدهم هذه النار ؟ ولماذا تسمى المعركة « معركة فلسطين » ؟ أما كان أولى أن تسمى « معركة الإسلام والمسلمين » ؟

أما كان واجبا أن يعسكر في القدس اليوم صف أقوى مرابط من مسلمي العالم كله يمدهم من وراءهم من المسلمين ، ويجعلونهم طلائع في معركة لا بد منها غداً أو بعد غد ، معركة حياة أو موت مع اليهود ، يخوضونها في سبيل الله بعد أن دبت أرضهم وانهكت حرماهم ، ويلتقون فيها مرة أخرى حول القبة الأولى يردون عادية ردّاً مثلها صلاح الدين . ويدفعون موجة عاتية تكسر مثلها من قبل على جبال فلسطين ؟؟ !

\*\*\*

وحرام زعم الزاعم أن إخواننا أبناء فلسطين خانوا الأمانة وفرطوا ، فإن هذه فرية ظالمة لا يجزأ عليها عالم بتاريخ فلسطين القريب ، وبجهاد ثلاثين عاماً طوالاً وقف فيه أهلها وحدهم يكافحون الإنجليز واليهود معاً ، ويغالبون لؤم الاستعمار الطاغى الذي احتضن اليهودية ، أو احتضنته هي ، وسخر لها قانونه وجنده وخبثه ... حتى ولد المولود الحرام . وما أكثر ما ثاروا وقتل منهم وجرح ، والمسلمون في العالم كله في غفلة عنهم ، أو في مشغلة بقضايا محلية محدودة ، حدها قصر نظرهم ، وعددها بعد ما بينهم ، وسهر على حدودها وبعد ما بينهم فيها وطنيات دخيلة على أخوة العقيدة بين المسلمين ، ورباط الحقد والجشع بين أعداء الإسلام « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » ولو أن المسلمين عرف بعضهم بعضاً في قضية

واحدة لما بقيت لهم قضايا ، ولما وجد المسعورون جزءاً واحداً من وطنهم الكبير يمكن أن يكون لقمة سائغة . . .

وبقى عرب فلسطين رمزاً للبطولة ثلاثين عاماً ، حتى كانت المعركة الهزيلة ، ودخلت جيوش الحكومات العربية — وليتها ما دخلت — فلسطين ، وظن المساكين الذين أصبحت المعركة أكبر منهم أن الجيوش الداخلة جاءت لانجدهم فأسلموا لها الزمام ، واتجهوا إليها في لهفة ورجاء ، ففجعوا الفجيعة المدممة ، ولقنهم السياسة العربية الآثمة أول دروس الضعف والهزيمة ، فكان ما كان . وليس وراء ذلك شيء يؤخذ عليهم إلا آحاداً من الخونة يوجد أمثالهم في كل أمة ، والتبعة فيما أصاب المعركة من من بعضهم واقعة على الساسة الذين خدعوا فيها أو اعتمدوا عليهم لا على مسلمي فلسطين وقد كان أولى بهؤلاء الساسة أن يدخلوا البيت من بابه ؛ فيعرفوا أخبار فلسطين بمن هم أدري بشعابها ، ولا يعتمدون في ذلك إلا على المقاييس الكريمة في وزن أخلاق الرجال . . . ولكن من أين لهم هذه المقاييس وهم من نعلم في كل قطر ؟ وهم لم يمارسوا الكفاح « الحق » حتى يعرفوا رجاله ، وحتى يشغل الطهر والجدي ميزانهم عن الدنس والتهريج . . .

\*\*\*

ومع بلاء اليهود المحقق ببيت المقدس ، بلاء آخر خطير خبيث ، هو مؤامرة غير إسلامية تهدف إلى تهية القدس للتدويل<sup>(١)</sup> ، والتدويل معناه إخراج القدس من أيدي المسلمين ، وحكمها حكماً غير إسلامي : أي تحقيق ما قامت الحروب الصليبية وليس لها من هدف غيره ، وما بذلنا الدم الزكي والشهداء الميامين حق لا يكون ؛ ومعنى التدويل أيضاً أن يفتح باب القدس على مصراعيه لليهود ويصبح وكراً للجاسوسية والتهريب ، ومركزاً لتصريف إنتاج اليهود ، وللتجارة بالعملة للتحكم في اقتصاديات العرب ، وأهم من ذلك أن ترتفع فيها الحدود بين المسلمين واليهود ، ويصبح المسلمون بين أمرين : بين أن يثبتوا على إيمانهم ، وعلى الغيرة على حرمانهم ، وعلى جهادهم الذي بدأوه . . . وسيعتبرون حينئذ ثواراً على وضع دولي ، وستتولى القوى الدولية في القدس — لا اليهود وحدهم — قمع كل حركة من حركاتهم ، وتشديد النكير عليهم ، وها قد رأينا ما أصاب طنجة « الدولية » وهي جزء من مراكش ، فأصبح يبطش فيها بالمسلمين !! وبين أن يرضوا بالواقع الظالم ويسكنوا إليه ، وتعود أجيالهم الناشئة رؤيته ويصعب

(١) اقرأ مجلة « المسلمون » العدد التاسع من السنة الأولى « في أفق العالم الإسلامي » .

عليها تخيل سواء ، ويصبح المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله لا يعنى عندها أكثر من جدران لا بأس أن يغشاها من كل نواحيها دنس الدنيا جميعاً ولا بأس أن يطنى على صوت المؤذن فيها دوى الأجراس وضحكات الغانيات من كل لون ورنين نقود اليهود ! .

إن مؤامرة التدويل هذه دائبة العمل في القدس ، محاولة صبغها بصبغة غير إسلامية ، ساهرة على إغراء المسلمين ببيع أرضهم بأبسط الأثمان ، مهتلة فرصة الفقر والحاجة في الناس ، متخذة من الغفلة وروح التسامح في المسلمين ومشغلتهم باليهود ستاراً غادراً يعملون وراءه سراً وعلانية ! ! .

وواجب المسلمين أن ينتبهوا إلى ما يراد بهم ، وألا يتخرجوا من كلمة الحق فإن من أعدائهم من يتدبر بحرجهم ، وأن يميزوا بين التسامح الواجب الكريم وبين الغفلة والبلاهة والتهاون غير الكريم ! وعليهم أن يدعوا يد العون الماسد إلى إخوانهم في بيت المقدس حتى يخففوا من وطأة هذه المؤامرة ويقطعوا حبالها ، فإن المسلم لا يبيع أرضه هناك إلا عن حاجة وعلى حكوماتهم - وهذا شيء نقوله أداء للأمانة وإبراء للذمة وإعذاراً إلى الله والناس - أن ترصد من أموالها وأموال جامعتها لإتقاذ بيت المقدس ونجدة مسلميه ، وعليها أن تعلم أن ضياع بيت المقدس معناه ضياع العرب والمسلمين ، فلتعمل هذه الحكومات لبقائها هي إذا لم تشأ أن تعمل لله رب العالمين ! .

\*\*\*

قد يقول قائل : ولكننا خسرنا كثيراً في فلسطين ! . وجوابي على ذلك أننا لم نخسر شيئاً في فلسطين .

أما الشهداء فقد كسبوا الشهادة والجنة والذكر الجليل ، وأما الأرض التي ضاعت فإنما انتقلت من الإنجليز إلى اليهود ، وأما الفضايح التي بانت فكما أقدم من قضية فلسطين ، وإنما كشفت فلسطين النقاب عنها ؛ فلماذا نلوم فلسطين ولا نلوم أنفسنا ؟ أليس أولى أن نقول جزى الله فلسطين كل خير ، فقد عرفنا بها الغث من الثمين ، وخطونا بها خطوة إلى تحطيم ما اعتدناه من عبادة الأوثان ، وشمعنا فيها - بعد زمن من الميوعة والتخث - رائحة الدم والبارود ، واجتزنا إليها الحدود الموهومة للتلقي في معركة واحدة بعد فرقة وشتات .

\*\*\*

فإن قيل ولماذا هزمنا في الجولة الأولى ؟ فالجواب أن العدل الإلهي لا يحاي المتخاذلين وإن كانوا مسلمين ، وأننا لم نقاتل بعد القتال الواجب في فلسطين . . . إن



اليهود جاءوا من كل نواحي الأرض يقاتلون ليقيموا دولة إسرائيل . . . فهي حرب عقيدة سافرة ظالمة ، لا يقوم لها إلا جند عقيدة يردون الباطل بالحق والكفر بالإيمان والظلمة بالنور . . . فأين جند العقيدة من المسلمين ؟ أين هم : يتجهون إلى فلسطين لا لينقذوا « الجارة الشقيقة » ! ولكن لينقذوا « المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله » ؟ . إن الحفنة القليلة من هؤلاء الجند المتطوعين صنعت الأعاجيب في الجولة الأولى . . . وسيصنع أمثالها أضعاف ما صنعت حين يأذن لها الله أن تحمل عبء الجولة الثانية . . . ألا إن المسجد الأقصى أعز على الله من أن يحميه جند جاءوه لغير الله ، . . . ألا وإنه يوم يكون شعار حربنا « الله أكبر » نهتف بها بحمها ، أطهارا أقوياء ، فلن يكون يومئذ إلا ما وعد الله : « كتب الله لأغلبن » .

## تعقيب

لفضيلة الأستاذ حسن الهضيبي

المرشد العام للإخوان المسلمين

اطلعت في مجلة « المسلمون » على مقال في « الربا » لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة ، ذكر فيه ما دار من مناقشة حول الموضوع في ندوة الإخوان المسلمين . وحاصل المسألة أني ذكرت لبعض الباحثين أن الربا لا يجوز إلا إذا قضت به ضرورة واضطررنا إليه اضطراراً ، وحينئذ ينطبق علينا قول الله تعالى : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه » . ولم يخطر بالبال أن يكون الربا نظاماً معترفاً به ، وليس له وجه من وجوه الحل ، وقد وافق الأستاذ أبو زهرة على حالة المضطر إلى قرض لم يجد من يقرضه إياه إلا بربا لإجراء جراحة . . . الخ فثبت ما قلنا . وقد ضربت له وضرب له الحاضرون أمثالا ؛ من ذلك ديون البنك العقاري المعقودة قبل العودة إلى كتاب الله : ما شأنها ؟ لم يقل أحد باحترام هذه العقود لأن العقد شريعة المتعاقدين ، فنحن نعلم أنه ليس للعاقدين شريعة إلا شريعة الله . وكل عقد خالف ذلك فهو باطل شرعاً لا يجوز تنفيذه عند إمكان عدم التنفيذ . وإنما كان السؤال ماذا نصنع إذا لم يمكننا لسبب من الأسباب التي ربما لا تخفى على أحد . والجواب على ذلك واضح لا يحتاج إلى تكلف .

والمسألة بعد مسألة تقدير الضرورات ؛ وعلى المكلف بتقديرها أن يبذل قصارى جهده في تحرى حكم الله فيها . والله أعلم .

# قَصَصُ الْفِرَآءِ

نوح عليه السلام

عرض وتحليل للأستاذ البهي الخولي

(١)

مقدم :

ماذا كان بين آدم ونوح عليهما السلام من أجيال وقرون ؟

لا يعلم ذلك إلا الله سبحانه . . . ولكننا على كل حال مدة كافية لأن يتطور الإنسان خلالها ، وينتقل من حال البدائية الفردية إلى حال المجتمع المستقر ، المتميز بكل خصائص القومية الأصلية . . . فإن أبناء آدم درجوا على هذه الأرض ومارسوا فيها — بالتدريج — ضروب كسب العيش . . . وشعر أفرادهم — مع الزمن وتعدد الاحتياجات — بعجز كل منهم — منفرداً — عن الوفاء بكل ما يحتاج إليه ، وأحس مع هذا العجز بحاجة إلى أخيه ، وضرورة التعاون معه . . . فأخذوا يجتمعون ويخرجون من حالة البداءة الفردية إلى حالة التعاون الجماعي المعهود في كل مجتمع مستقر . . .

ولسنا نغني بالفردية البدائية لوناً من همجية الوحش في القيعان والأجمات ، بل نغني تلك الحالة التي كان فيها الإنسان قليل « الاحتياجات » ؛ ولم يكن لأحد عليه من سلطان إلا سلطان وجدانه الخاص ، إذ لا حكومة تضبط سلوكه ، ولا جماعة تنظم له حريته في نطاق خاص . . . أما طور الجماعة فهو طور الاحتياجات الكثيرة ، والتعاون المتبادل ، والحياة المتشابهة ، وفيها يغدو المرء محكوماً بسلطان جديد — إلى جانب سلطان وجدانه الخاص — هو سلطان الجماعة الذي يضطره إلى كبح جماحه ، وضبط كثير من ميوله ، وتنسيق مصالحه مع مصالح غيره . . .

ولقد قص القرآن الكريم نبأ ابني آدم بالحق . . . وفي هذا النبأ نلمح تقلب الإنسان في طور البدائية الفردية ؛ فقد تنافس هذان الابنان — هايل وقايل — أمراً مرغوباً فيه من كل منهما ؛ فقبلاً قرباناً فتقبل من هايل ولم يتقبل من قايل ، فقال :



لأقتلتك . . فأجاب هابيل إنما يتقبل الله من النقيين . . لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بياسط يدي إليك لأقتلك ، إني أخاف الله رب العالمين . . . ولكن قابيل لم يتأثر بهذا النهج السلي السامى ؛ ولم يطق أن يحال بينه وبين ما يشتهى ، فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله . . إلخ

أين وازع الحكومة ؟

أين سلطان الجماعة ؟

لاحكومة فى هذا الطور ولا سلطان يهيمن على المرء غير سلطان وجدانه الخاص . والمعروف أن هبوط آدم إلى الأرض كان بدء حياة العقيدة الصالحة فيها ، وظهور آثار الوجدان المذهب ؛ أما الخبرة بالحياة ، والدربة على شئونها ، والسيورة إلى الخصائص النفسية والواقعية لكل مجتمع مستقر فذلك مالا بدله من التجارب الطويلة والدهور الممتدة المتعاقبة .

ولسنا بصدد التحليل الدينى لقصة ابنى آدم عليه السلام ، بل بصدد استخراج بعض ما فيها من سمات الحياة البدائية الساذجة ؛ وقوله تعالى : « فبعث الله غراباً يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه . . الآية » واضح الدلالة على تلك البدائية : بدائية التجارب ، وبدائية التفكير فى المعانى الاجتماعية .

فإذا نقلت النظر إلى قصة نوح عليه السلام ، لا تجد البدائية الواضحة ، ولا الفردية المستعلنة ، بل تجد المجتمع المستكمل لكل صفات الجماعة المستقرة .

ونعنى بالمجتمع الفريق من الناس الذى استقر فى بقعة من الأرض ، كبيرة أو صغيرة . . . وربطت بينهم أواصر النسب القرية أو البعيدة . . . ونظمهم قوانين البيئة والوراثة القومية فى مشابهة نفسية عامة متجانسة . . . وواشجت بينهم المصالح المختلفة ووحدة الهدف العام . . . وسلكتهم فطرة المجتمع بحسب حرفهم وصناعاتهم طوائف متعاونة . . . وتألف منهم على الزمن خاضعة وعامة . . . وقادة وشعب .

والتأمل فى قصة نوح عليه السلام يرى أن الله سبحانه قد بث فى ثناياها خصائص المجتمع الذى نعينه :

فنوح عليه السلام من هؤلاء القوم . . . وهم منه ، عشيرته الأقربون والأبعدون ، وهو يوجه إليهم الخطاب — فيما يحكيه القرآن الكريم عنه — بقوله : « أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم . . . الآية (١) » .

والإشارة إلى تفرقهم طوائف متفاوتة بحسب ما لسكل من حرفة وصناعة أو عمل، تراها في مثل قوله تعالى — حكاية عنهم وهم يجادلون بينهم — : « وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي <sup>(١)</sup> . . . » فالمراد بالأراذل — في زعمهم — كما يقول المفسرون ، هم الفقراء والباعة الصغار ، والحاكة ، وسائر أرباب الحرف الصغيرة. والإشارة إلى انتظامهم عامة وخاصة . . . أو شعبا وقادة تلوح لك في مثل قول نوح عليه السلام : « رب إنهم عصوني ، واتبعوا من لم يزدده ماله وولده إلا خسارا . . » ففي هذا القول تابعون ومتبعون . . . والتبعون هم من أرباب الثروة والجاه .

\*\*\*

وعلى هذا فقصّة نوح عليه السلام ، هي قصة المجتمع الأول ، أو أول مجتمع يجعل الله سبحانه أمره موضعا للعظة والاعتبار . وقد قال فريق من العلماء : إن إدريس عليه السلام كان قبل نوح ؛ ولكن آخرين ردوا هذا القول وعارضوه بأدلة لا ضرورة لذكرها .

وليس من قصدنا في هذا المقام ترجيح إحد القولين على الآخر ، بل بيان ما لهذا القول من معارضة . . . وعلى فرض صحة الرأي القائل بسبق إدريس لنوح عليه السلام فإنه لا يبطل ما قلناه من أن قصة نوح هي قصة المجتمع الأول أو أول مجتمع ضربه الله سبحانه مثلا للعظة والاعتبار ، فإن كل ما جاء في القرآن الكريم عن إدريس لا يعدو أن يكون ثناء طيبا جمعه الله جل ثناؤه في قوله الكريم : « واذكر في الكتاب إدريس أنه كان صديقا نبيا ، ورفعناه مكانا عليا <sup>(٢)</sup> » أما قومه وما كان بينهم وبينه من تجاوب أو معارضة فلم يرد عنه شيء .

فإذا كانت قصة آدم عليه السلام هي قصة تكوين البشر الأول ، ومبدأ قلبه في المعصية والرشد ، فقصة نوح عليه السلام هي قصة المجتمع الأول — وقصة كل مجتمع — وما له من قلب في الغواية والرشد .

\*\*\*

بعث نوح عليه السلام في مجتمع فاسد العقيدة ، زائع عن عبادة الله سبحانه إلى عبادة الأوثان . . . فقام فيهم يصحح عقيدتهم ، ويردهم إلى عبادة الله وحده . . « يا قوم إني

(١) هود : ٢٧

(٢) مريم : ٥٧

لكم نذير مبين<sup>(١)</sup> « يا قوم اعبدوا الله ما لکم من إله غيره ، إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم<sup>(٢)</sup> »

وكان أسلوبه في الدعوة واضحاً قوياً يعتمد على البراهين الفطرية ، والاستدلالات العقلية . . .

ماذا خلقت تلك الأوثان ، وماذا خلق الله !

« ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً ، وجعل القمر فيهن نوراً ، وجعل الشمس سراجاً ١٢ »

« والله أنبتكم من الأرض نباتاً . . . ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً »

« والله جعل لکم الأرض بساطاً ، لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً<sup>(٣)</sup> »

وذعر أرباب الجاه وللأهل هذه الدعوة ، ورأوا في نبرات هذا الداعية الصادق ما يهدد جاههم ومنافعهم ، ويؤذن بإقبال الناس عليه والتفافهم حوله ، وزاد من فزعهم أن تبعه بعض العامة أول الأمر ، فقاموا يناوئونه ، ويعملون على إخفات صوته ، وتشويه أمره ، وتغيير الناس منه . . .

ولم يكن أقرب إليهم من استغلال الجماهير ، فأثاروا فيهم حماسهم الدينية ، وأظهروا تعظيمهم للأوثان ، واستهجانهم لهذا الداعية ، الذي يحط من قدر الآلهة ؛ وقالوا للناس : « لا تدرن آلهتكم ، ولا تدرن ودأ ، ولا سواعاً ، ولا يغوث ويعوق ونسراً<sup>(٤)</sup> »

وحمد العامة لقادتهم وكبرائهم غيرتهم الدينية ، ومحافظتهم على آلهتهم بمن يبغيها بسوء ، فاتبعوهم على مخالفة هذا النبي ومناوئته .

وفرغ الخاصة له ، يهتمونه بالرغبة في الجاه والسلطان تارة : « فقال للملأ من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم » . . . ويرمونه بالجنون أخرى : « إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين<sup>(٥)</sup> »

واستغلوا الوثنية ، وثنية الفكر والعقيدة في استبعادها أن يكون البشر نبياً من الله ، ودعموها بما كان عليه الآباء والأجداد من جهل وزور ، فقالوا فيما قالوا : « ولو شاء الله لأنزل ملائكة ، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين<sup>(٦)</sup> »

(١) نوح : ٢ (٢) الأعراف : ٦٩ (٣) نوح : ١٥ — ٢٠

(٤) نوح : ٢٣ (٥) المؤمنون : ٢٤ (٦) المؤمنون : ٢٥ (٧) المؤمنون : ٢٤



إلى غير ذلك من أفانين الوثنية ، واستغلال سطحية الفكر الجماعى ، مما رفع من شأن الخاصة وعظمت به مظاهره الجماهير إياهم ، وانصراف أكثر القوم عنه عليه السلام . وفى تلك الحال يقول نوح : « رب إنهم عصونى ، واتبعوا من لم يزد به ماله وولده إلا خساراً »

وفى إصرارهم على النفور منه ، والإعراض عنه ، وعدم الاستماع إليه يقول عليه السلام « رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً ، فلم يزد هم دعائى إلا فراراً ، وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم ، واستغشوا ثيابهم ، وأصروا ، واستكبروا استكباراً <sup>(١)</sup> »

واستمر نوح يدعو قومه إلى الله ، ويجادلهم فى وثنياتهم التى أفسدت نظرهم إلى حقائق الحياة وتقديرهم لقيمها المختلفة ، وينذرهم مغبة هذا الفساد ؛ ولكن لم يغب الجدل والنذير شيئاً ، فإن الوضع فى البيئة كان قد تبلور أو انتهى إلى حال من الجحود والجحود لا يجدى معه صدق الداعية ولا اجتهاده بعد أن صار حال العامة إلى ما ذكرنا من تأييدهم التام لقادتهم وكبرائهم . . . وطال مكثه فيهم على هذه الحال ألف سنة إلا خمسين عاماً — على ما قرره القرآن الكريم — فلم يتلاق منهم إلا قولهم : « يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا ، فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين <sup>(٢)</sup> » .. وزادوا على ذلك التيتيس فأوعدوه وهددوه ، وقالوا : « لنن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين <sup>(٣)</sup> »

\*\*\*

« وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ، فلا تبتئس بما كانوا يفعلون <sup>(٤)</sup> » فقد تميز القوم فريقين : فريق المؤمنين الذين يأخذون بأسباب النجاة ويعملون بعمل أهل الإيمان ، وفريق الكافرين الذين يضلون سبيل النجاة ، ويعملون بعمل الهالكين ؛ ولم يبق إلا أن يحل الله سبحانه بكل فريق عاقبة عمله : للمؤمنين النجاة والمثوبة ، وللباطلين الهلاك والشقوة . . . وأوحى الله سبحانه إلى نوح بذلك ، وأخبره أنه موشك أن يأخذهم بطوفان من فوقهم ومن تحت أرجالهم ، وأمره أن يصنع سفينة ليأوى إليها حينما يأتى أمر الله هو وأهله — إلا من سبق عليه القول — ومن آمن معه . . .

(٣) الشعراء : ١١٦

(٢) هود : ٣٢

(١) نوح : ٥ ، ٧

(٤) هود : ٣٦

ونفذت في القوم سنة الله ، فانفتحت أبواب السماء بماء منهمر ، وتفجرت الأرض عيوناً . . . والتقى فيض السماء بماء الينابيع والعيون ، في صورة رهيبة ، وحالة كرب مذهل عصيب . . . وتوالى ما يتدفق من السماء ، وما يتفجر من الأرض . . . وارتفع السيح ، وعظمت اللجة ؛ وأخذت الربا والهضاب تغيب تحت سطوح الماء ؛ وأخذ الطوفان يزحف إلى قمم الجبال الشاخنة ليغطيها . . . كل ذلك ومستكبرو الأمم مذعورون ، قد تفرقت ألبابهم ، وذهلت عقولهم ؛ يفرون من هضبة إلى هضبة ، ومن قمة إلى قمة ، يظنون أنهم عاصمون أنفسهم من أمر الله . . . أما أهل الإيمان فقد أخذت سفينة النجاة تشق بهم اللجة ، « وهي تجري بهم في موج كالجبال ، ونادى نوح ابنه وكان في معزل ، يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ، قال سآوى إلى جبل يعصمني من الماء ، قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ، وحال بينهما الموج فكان من المغرقين (١) . »

وتمت كلمة الله ، وطهرت الأرض من كل كافر وكافرة ، وأذن الله أن ترفع غاشية الطوفان ، فأقلعت السماء ، وكفت الأرض ؛ وغيض الماء ؛ وقضى الأمر ، واستوت سفينة المؤمنين على الجردى ؛ ونودى نوح عليه السلام « اهبط بسلام منا ، وبركات عليك وعلى أمم ممن معك ، وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم » .

(١) هود : ٤٢ ، ٤٣

## مناجاة

رب هب للشباب آهاتى الحرى وهب للصقور ريشاً جديداً  
بغيتى أن تمد فى الأرض من شعلة عقلتى نوراً عميماً مديداً

إقبال

( ترجمة شاعر النين الفاضى محمد محمود الزبيرى )

# السُّنَّة

لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى السباعي

( ٣ )

علوم الحديث :

وثمة علوم أخرى استلزمها دراسة السنة وروايتها والدفاع عنها وتحقيق أصولها ومصادرها وقد أوصلها أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (٤٠٥) في كتابه « معرفة علوم الحديث » إلى اثنين وخمسين علماً ، نذكر أهمها فيما يلي ليتبين دقة علماء السنة في تقديم لها وتحقيقهم في ضبطها ودأبهم على صيانتها .

الأول : معرفة صدق المحدث واتقانه وصحة أصوله وما يحتمله منه ورحلته من الأسانيد أو غير ذلك من غفلته وتهاونه بنفسه وعلمه وأصوله « قال أبو عبد الله الحاكم » وما يحتاج إليه طالب الحديث في زماننا أن يبحث عن أحوال المحدث : هل يعتقد الشريعة في التوحيد ؟ وهل يلزم نفسه طاعة الأنبياء والرسل فيما أوحى إليهم ؟ وهل المحدث صاحب هدى يدعو الناس إلى هداه ؟ . . . وهل يحتمل منه سماعه من شيوخه الذين يحدث عنهم ؟ فقد رأينا من المشايخ جماعة أخبرونا بسن يقصر عن لقاء شيوخ حدثونا عنهم .. ثم يتأمل أصول المحدث ( كتبه التي يحدث عنها ) أعتيقة هي أم جديدة ؟ فقد نبغ في عصرنا هذا جماعة يشترون الكتب فيحدثون بها ( على أنها من سماعتهم ) وجماعة يكتبون سماعتهم بخطوطهم في كتب عتيقة فيحدثون بها . وعلى أهل الصنعة إذا سمعوا من أمثال هؤلاء بعد الخبرة أن يجرحوهم ويسقطوهم إلى أن تظهر توبتهم ، وعلى الجاهلين بالصنعة أن يسألوا عما لا يعرفونه .

الثاني : معرفة المسانيد من الأحاديث : قال الحاكم وهذا علم كبير من هذه الأنواع لاختلاف أئمة المسلمين في الاحتجاج بغير المسند ، والمسند من الحديث أن يرويه المحدث عن شيخ يظهر سماعه منه لسن يحتمله ، وكذلك سماع شيخه من شيخه إلى أن يصل الاسناد إلى محابي مشهور إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الثالث : معرفة الموقوفات من الآثار : مثل ما أخرجه الحاكم عن المغيرة بن شعبة قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرعون بابيه بالأظافر . . قال الحاكم



هذا حديث يتوهمه من ليس من أهل الصنعة مسنداً ، لورود اسم رسول الله فيه وليس بمسند فإنه موقوف على صحابي حكى عن أقرانه من الصحابة فعلاً ، وليس يسنده واحد منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الرابع : معرفة المدرج في الحديث : وهو ما أدخل في حديث النبي صلى الله عليه عليه وسلم من كلام الصحابي كشرح للحديث أو تعليق عليه ، ومثل لذلك الحاكم بما أخرجه عن عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيده فعلمه التشهد في الصلاة فذكر التشهد ثم قال : فإذا قلت هذا فقد قضيت صلاتك إن شئت أن تقوم فقم وإن شئت أن تقعد فاقعد « قال الحاكم وقوله » فإذا قلت هذا الخ مدرج في الحديث من كلام عبد الله بن مسعود ، ويدل لذلك ما جاء في طريق آخر من التصريح بذلك بعد صيغة التشهد : قال عبد الله بن مسعود : إذا فرغت من هذا فقد قضيت صلاتك .

الخامس : معرفة الصحيح والقيم : وهو غير الجرح والتعديل قرب إسناد يسلم من الجروحين غير مخرج في كتب الصحيح .. وضرب الحاكم لذلك مثلاً بما أخرجه بسنده المتصل إلى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم « صلاة الليل والنهار مثني مثني والوتر ركعة من آخر الليل » فهذا حديث ليس في إسناده إلا ثقة ثبت مع أن ذكر النهار فيه وهم .. ثم قال الحاكم : إن الصحيح لا يعرف بروايته فقط وإنما يعرف بالفهم والحفظ وكثرة السماع وليس لهذا النوع من العلم عون أكثر من مذاكرة أهل الفهم والمعرفة ليظهر ما يخفى من علة الحديث ، فإذا وجد مثل هذه الأحاديث بالأسانيد الصحيحة غير مخرجة في كتابي الإمامين البخاري ومسلم لزم صاحب الحديث التقير عن علته ومذاكرة أهل المعرفة لتظهر علته .

السادس : معرفة علل الحديث : وهو علم يرأسه غير الصحيح والسقيم والجرح والتعديل .. قال الحاكم : وإنما يعلل الحديث من أوجه ليس للجرح فيها مدخل ، فإن حديث الجروح ساقط واه ، وعلة الحديث تكثر في أحاديث الثقات بحديث له علة فيخفى عليهم علمه فيصير الحديث معلولاً ، والحجة عندنا فيه الحفظ والفهم والمعرفة لا غير ، ثم ذكر له عشرة أنواع ومثل لكل نوع ولم يذكر لها قواعد وإنما كان يذكر لكل نوع مثلاً ثم يذكر علته ، وجميع العلل تدور حول دخول حديث في حديث أو وهم لحق الراوي أو وصل حديث وهو في الواقع مرسل وهكذا .

السابع : معرفة مذاهب المحدثين : وقد نقل الحاكم نصوصاً كثيرة عن أئمة الحديث يذكرون فيها مذاهب بعض الرواة لتحذير الناس منهم .

الثامن : معرفة التصحيقات في متون الأحاديث وأسانيدها : وقد ذكر الحاكم لذلك أمثلة كثيرة وأن جماعة من أئمة الحديث وقعوا في هذه الأخطاء .

التاسع : معرفة مراتب الصحابة وأولادهم : فهم كما ذكر الحاكم اثنتا عشرة طبقة أولها من أسلم بمكة وآخرها صبيان وأطفال رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وفي حجة الوداع وعدادهم من الصحابة ، كما يجب العلم بمعرفة أولاد الصحابة كيلا يلتبس الأمر بين ما يرويه الصحابي وما يرويه ولد الصحابي ، ومن جهل هذا النوع اشتبه عليه كثير من الروايات .

العاشر : معرفة التابعين : وهذا نوع يشتمل على علوم كثيرة فإنهم على طبقات في الترتيب ، ومهما غفل الإنسان عن هذا العلم لم يفرق بين الصحابة والتابعين ، ثم لم يفرق أيضاً بين التابعين وأتباع التابعين وقد صنفهم الحاكم إلى خمس عشرة طبقة . هذه هي بعض علوم الحديث اختصرتها لك من كتاب أبي عبد الله الحاكم وهو كتاب مستوفى لم يسبق إلى مثله . .

كتب في الموضوعات والوضايع :

كان من عادة السلف حين وقع الكذب في الحديث وتبعوا الكذابين وعرفوهم ، أن يجهروا بأسمائهم في المجالس فيقولون فلان كذاب لا تأخذوا عنه ، فلان زنديق ، فلان صاحب هوى وبدعة وهكذا . . وقد عرف بالكذب واشتهر بين محدثي أناس . منهم : أبان بن جعفر النخعي . . وضع علي أبي حنيفة ثلاثمائة حديث لم يحدث أبو حنيفة بواحد منها .

إبراهيم بن زيد الأسدي . . روى عن مالك أحاديث لا أصل لها .

أحمد بن عبد الله الجويباري . . وضع ألفاً من الأحاديث للكرامية .

جابر بن زيد الجمعي . . قال فيه سفيان : سمعت جابراً يحدث بنحو ثلاثين ألف حديث ما أستحل أن أذكر منها شيئاً وأن لي كذا وكذا .

محمد بن شجاع الليثي . . وضع أحاديث التشبيه ونسبها إلى أهل الحديث .

نوح بن أبي مريم . . وضع حديث فضائل القرآن سورة فسورة وقد اعترف بوضعه لهذه الحديث الطويل واعتذر بأنه أراد أن يصرف الناس عن فقه أبي حنيفة ومغازي بن إسحق إلى قراءة القرآن .

الحارث بن عبد الله الأعور ، مقاتل بن سليمان ، محمد بن سعيد المصلوب ، الواقدي ،

ابن أبي عبي .

ثم تتبع العلماء الأحاديث الموضوعة فأفردوها بالجمع والتأليف تنبيهاً للعامة حتى لا يغتروا بها ، ومن أشهر هذه الكتب :

١ — للوضوعات للحافظ أبي الفرج بن الجوزي (٥٩٧) وقد ذكر فيه كل ما اعتقد بوضعه من الأحاديث ولو في كتب الصحاح ؛ فذكر حديثاً في صحيح البخاري وحديثين في مسلم ، وثمانية وثلاثين في مسند أحمد ، وتسعة في سنن أبي داود ، وثلاثين في جامع الترمذي ، وعشرة في سنن النسائي ، وثلاثين في سنن ابن ماجه ، وستين في مستدرك الحاكم ، وأحاديث أخرى فيما عداها من كتب السنة ، وقد تعقبه العلماء فأقروا أكثر ما حكم بوضعه وخالفوه في قليل منها وخاصة ما يتعلق بأحاديث البخاري ومسلم والإمام أحمد .

٢ — المغنى عن الحافظ والكتاب لأبي عمر بن بدر الموصلي (٦٢٣) اكتفى فيه بذكر الأبواب التي لم يصح فيها شيء من الحديث مثل قوله : باب في زيادة الإيمان ونقصانه وأنه قول وعمل ثم يقول : لا يصح في الباب شيء ، وقد تعقبه العلماء أيضاً .

٣ — الآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للحافظ السيوطي (٩١١) وقد قال في مقدمته : إنه وضعه ليختصر فيه كتاب أبي الفرج بن الجوزي أو لينتقد ما فيه من خطأ في الحكم على بعض الأحاديث الصحيحة بالوضع . . وقد كتب هذا الكتاب مرتين الأولى انتهى من تأليفه سنة ٨٧٥ وكان التعقيبات فيه قليلة وعلى وجه الاختصار وقد كتب منه عدة نسخ راحت إحداها إلى بلاد التكرور . . والثانية ابتداءً في تأليفها سنة ٩٠٥ إذ بسط الموضوع بسطاً وافياً وزاد فيه أحاديث فانت أبا الفرج فلم يذكرها في كتابه مع أنها من الموضوعات . . وقد جعل هذه الزيادات في ذيل خاص بعد أن نقل كل ما ذكره ابن الجوزي .

٤ — تذكرة الموضوعات لمحمد بن طاهر بن علي الفتي (٩٨٦) وقد ألحق به رسالة في الوضاعين والضعفاء مرتبة على حروف المعجم .

٥ — الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للإمام الشوكاني المتوفى (١٢٥٠) هذا ما يتعلق بجهود العلماء في تدوين السنة وتصحيحها وتنقيتها من الدخيل والموضوع وإنه ليدل على ما بذلوه — رحمهم الله — من جهد في هذا السبيل لم يقع مثله لأمة من الأمم ، بل لم يصل العلم الحديث إلى مثل هذه الجهود والدقة في تمحيص التاريخ وروايته ، كما سنوضح ذلك إن شاء الله .



# شريعة الله

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

١ - تلك هي شريعة القرآن قد غفل عنها المسلمون فضاعوا ، وأهملوها فذهبت عزتهم ، وضعفت كلمتهم وصار أمرهم سَدَداً بَدَداً ، لاجامعة تجمعهم ، ولارابطة تربطهم ، وهُزِّعَت الأخلاق ، واستبيحت المحرمات ، وتحكمت الأهواء ، فصار الشح مطاعاً والهوى متبعاً ، وأصبح بأسهم بينهم شديداً ، وقلوبهم شتى ، وتقطعوا شيعاً وأحزاباً « كل حزب بما لديهم فرحون » كأن الله سبحانه وتعالى لم ينزل على نبيه الكريم « وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » فما جمعنا شملنا ، ولا عبدنا حق العبادة ربنا ، وتوزعتنا الأرض ، فارتبط كل بإقليمه ، كأنه لا يعرف وحدة سواء ، ونسى أن للمسلمين تجمعهم كلمة الله ، وشريعته التي نزلت على خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، وبذلك التوزع ذهبت النخوة ، وماتت العزة الإسلامية ، ورضينا بالذل مقاماً ، وبالهون من المنازل حظاً وقسماً ؛ ونسينا قول الله تعالى : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » وصرنا معشر المسلمين هدفاً تصوب إليه السهام ، وغرضنا ينال ، ونهباً مقسوماً بين الذين لا يريدون بالإسلام إلا خبالاً ، ولا يرجون للمسلمين وقاراً ، بل صرنا نستغل والغلة لغيرنا ، ونعمل والثرمة لأعدائنا ، ونسعى في الأرض التي ارتبطنا بها وليس السعى لنا بل نتائج لغيرنا ، وكأن الله سخرنا عبيداً أو عسقاء<sup>(١)</sup> لهم ، ونسينا قول الله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » وقوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيداً » .

لقد صار أمرنا ليس بأيدينا ، وولايتنا بأيدي غيرنا ؛ يوجهون في بلادنا السياسة ويتحكمون في أسواقنا الاقتصادية ، ما يعملونه نستحلّه ، ولو أكد القرآن الكريم تحريمه ، وما يحرمونه نحرّمه ، ولو كان في القرآن الكريم إباحته ، نحلّ بأمرهم ما حرم الله ، ونحرم بأمرهم ما أحل الله ، يستنصر الكثير منا بهم ، ويعملون الولاية لهم ، ونسينا قول الله تعالى : « هنالك الولاية لله الحق » وقوله تعالى : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين

(١) جمع عسيف وهو العامل الأجير الذي يعمل لغيره .

أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه ، وإلى الله المصير .

٢ — هذا ما آل إليه أمرنا ، أو بالأحرى بعض ما آل إليه أمرنا عندما تركنا شريعة القرآن ، فقد نسينا صدر تاريخنا ، وتنكرنا لماضينا ، ورضينا بحاضرنا ، وقبلنا أن نكون في كل شيء تابعين ومن قبل كنا متبوعين ، حتى خواطرننا سمحنا لغير المسلمين أن يتحكموا فيها ، فسرنا لا نفكر إلا بتفكيرهم ولا نتخيل إلا بأخيلتهم ، وكأنا لم يكن لنا في الماضي حضارة إسلامية قائمة ، ساست العالم ، أو ما وصلت إليه هدايته بالقسطاس المستقيم .

لقد كانت الشريعة يوم طبقها أهل القرآن نوراً أضاء في العالمين ، وعدلاً مثالياً لم يعرفه الناس حقيقة وافعة إلا أيام أن حكم بالقرآن وشريعته وهدايته : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز ، أولئك الأطهار الأبرار الذين حققوا في العالم ما كان يتصوره الحكماء والفلاسفة حلماء من الأحلام ، يتخيله العلماء ، ويتصوره الحكماء ؛ ولكن لا يحققه الوجود الإنساني ؛ فباسم الله الرحمن الرحيم حقق أولئك الأطهار الأبرار تلك المعاني العليا ؛ لقد سوا بين بني الإنسان ، فلا تفاوت في العدالة والحقوق والواجبات بين الأجناس ، بل الجميع سواء ، كلهم لآدم وآدم من تراب ؛ فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ، ولا فضل لغالب على مغلوب ، ولا لقوى على ضعيف ، بل إن القوة توجب حقوقاً على القوى ، ويعنى منها الضعيف ؛ فالضعف ينقص من الواجبات ولا ينقص من الحقوق ، والقوة تضاعف الواجبات ، ولا تضاعف الحقوق ، حتى لقد ساء المنصفين من الأوربيين أو لغير المشتطين منهم أن يقول في إصرار : « إن العالم لم يعرف فاتحاً أرحم من العرب » لأنهم في إيمان فتحم كانوا يحكمون بشريعة القرآن التي تسوى بين الناس في الحقوق والواجبات ، بل تنطق بالقرآن الكريم : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » فالغالب والمغلوب سواء ما دامت كلمة الله هي العليا ، والمهزوم والمنتصر سواء ما دامت شريعة الله هي الحاكمة ، فلم يقل الإسلام مقالة زعماء المتمدنين بمدينة هذه الأيام « ويل للمغلوب » بل قال في سماحة العزة ، وقوة الرحيم : « فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » وقال : « إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف » وقال لرسوله الأمين : « واصفح الصفح الجميل » وقال : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل » وقال الرسول الكريم عندما هزم قريشاً الذين أرادوا قتله

وآذوه أبلغ الإيداء : « إذهبوا فأنتم الطلقاء ، لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم » .  
 ٣ — تلك هي العدالة المطلقة التي تحققت في الوجود يوم أن طبق المسلمون  
 شريعة القرآن الكريم ؛ ولكن لما هجرها المسلمون ، وأقاموا بعض القرآن ، وأهملوا  
 بعضه « وجعلوا القرآن عظيم » وأخذوه متفرقاً ، ولم يأخذوه كلا لا يقبل التجزئة ،  
 وحكماً عاماً لا يقبل التخصيص ؛ وشرعاً عادلاً لا يقبل التفرق . لما فعلوا ذلك آلوا إلى  
 ذلك المآل ؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

إن شريعة القرآن هي صفوة شرائع النبيين ، فيها لب الشرائع السماوية السابقة  
 كلها ؛ فمن هجرها فقد هجر الشرائع السماوية كلها ، ومن اتبعها فقد اتبع شرائع  
 النبيين أجمعين ، فلو كان سيدنا موسى حياً لا تبعها ، وهو الذي نزلت عليه التوراة .  
 فلقد قال الله تعالى : « قل ما كنت بدعاً من الرسل » ، وقال تعالى : « شرع لكم من  
 الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن  
 أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ، الله يجتبي إليه من  
 يشاء ، ويهدي إليه من ينيب ، وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ، ولولا  
 كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم ، وإن الذين أوتوا الكتاب من بعدهم  
 لفي شك منه مريب » .

٤ — فشريعة القرآن بهذا النص المبين هي شريعة النبيين ، أو هي صفوة ما نزلت  
 به الشرائع السماوية ، وليس القرآن وحده هو الذي صرح بذلك ، بل إن المتتبع  
 لنصوص الكتب السابقة حق التي بين أيدي أهل الكتاب في هذه الأيام ليجد فيها  
 أحكاماً كثيرة مما يستنكره المتحمدين اليوم على الإسلام ؛ ففي التوراة النص على رجم  
 الزاني والزانية ، ولم ينكر السيد المسيح عليه السلام حكم الرجم ، ولكن اشترط أن  
 يتولى الرجم من لا يرتكب هذه الخطيئة ؛ فإذا كان بعض الغربيين قد رمى الشريعة  
 الإسلامية بأنها لا تتفق مع المدنية لأنها تشتمل على الحدود ، فليعرف أولئك موضع  
 أديانهم من تلك المدنية ؛ أو بعبارة أدق وأسلم ، ليعرفوا موضعهم من دينهم ، وأنهم  
 إذ يثيرون القالة حول الإسلام في هذا إنما يثيرونها على الشرائع السماوية كلها ، فقد  
 أقرت كلها الحدود ، وهذا الربا قد حرّمته التوراة بصريح اللفظ ، وحرّمته النصرانية ؛  
 لأنه لا نص يبيحه ، وأن ما جاء في كتب العهد القديم متسع ما لم يكن في كتب العهد  
 الجديد ما يخالعه ، وليس ثمة نص قط يخالف تحريم الربا في التوراة ، وأنه تحريم قاطع  
 لا ريب فيه في التوراة ، فقد جاء في سفر التثنية في الإصحاح الثالث والعشرين ما نصه :



« لا تفرض أخاك ربا ، ربا فضة ، أو ربا طعام ، أو ربا شيء مما يقرض ربا » .  
 هذا نص كما ترى صريح في تحريم الربا ، وهو متبع عند اليهود ، ولازم الاتباع عند  
 النصارى ، فمن أباح الربا فقد خرج على الديانتين ، وأطرح الملتين ، وكان أمره مُفرطاً .  
 فإذا دعونا إلى تحريم الربا ، واتباع ما جاء به الإسلام ، وقلنا مقالة القرآن : « وإن  
 تبتم فلکم رؤوس أموالکم لا تظلمون ولا تُظلمون » فلنما ندعو إلى اتباع الشرائع  
 السماوية كلها ، ومن حارب ذلك وأيد بقاء الربا فقد خلع الرتبة ، وتجاوز الحد ،  
 وخرج على الأديان كلها .

٥ — إن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يأت يبدع من الأحكام إلا ما يكون كما  
 لا يتفق مع كمال الإنسانية .

والشريعة الإسلامية بالنسبة لأخواتها شرائع السماء هي خطوة بالإنسان نحو الكمال ،  
 بعد أن علت مداركه ، وانتفع الأخلاف بتجارب الأسلاف ، وصار للفكر منهاج  
 يكشف به مغالق الكون ، ويفتح به كنوز الأرض وما حوت .

ولكن الناس مع تقدمهم العقلي في هذه الأيام التي هجروا فيها الأديان قد تخلفوا  
 في الأخلاق وهجروا كل المعاني النفسية العالية التي جاءت بها الأديان السماوية ، فالعالم  
 الغربي ، وقد سرت عدواء إلى الأمم الإسلامية قد غلبت عليه المادة ، وغلبت معها  
 عليه الشقوة ، وإذا كان قد سار فيها إلى أبعد ما وصل إليه العقل من غايات ، فقد  
 انحدر من أخلاقه إلى هاوية ماله من قرار ، ولا سبيل لأن يرتفع من هذه الهاوية  
 إلا بالدين ؛ فالدين وحده هو الذي ينجيه من هذه السكوبة ، وهو ملاك الأمر كله .

٦ — إن بعض المسلمين يشيرون بمحاجة من الغبار حول الأحكام الشرعية ، فيستكثرون  
 الحدود الشرعية ، ويعتبرونها عقوبة قاسية ، قد كانت تصالح في الماضي ، ولا تصالح في  
 الحاضر ، وقد وضعت لنفوس قاسية غير مدركة ، والآن قد عاتت النفوس ، وأرهفت  
 المدارك ، فلا سبيل لعقاب قاس تنفر منه الطباع الإنسانية ، وتنبو عنه الأذواق السليمة  
 وهم في ذلك يقلدون الأوروبيين ، ويخذون حذوهم ، حذو القذة بالقذة .

وإنا نقول لهؤلاء أمرين :

( أحدهما ) : أنكم ومعكم الأوروبيون وإخوانهم في العالم الجديد قد هجروا الأديان  
 هجراً غير جميل ، فتلک العقوبات منصوص عليها في التوراة وصدق عليها الإنجيل ،  
 وجاء بها القرآن ، فإذا كان المسيحيون واليهود قد تركوا تلك الأحكام ، فقد آمنوا  
 ببعض كتابهم ، وكفروا ببعض ، وأنتم كذلك ، وما لمسلم حقاً ، ولا لمسيحي حقاً أن  
 يرضى بذلك .

(ثانيهما) : أن المدارك البشرية إذا كانت قد علت ، وصارت هذه العقوبات القاسية غير صالحة لها ؛ فإن مصداق ذلك ألا توجد أسبابها ، فلا توجد السرقة التي أوجبت عقوبتها ، ولا يوجد الزنا الذي أوجب عقوبته . . . وهكذا . ولكن الجرائم ما زالت قائمة ، وقد تعددت أسبابها ، وتفتحت أبوابها ، وتفتنت العقول في طرائقها ؛ وصارت المدن الأمريكية والأوربية مكاناً للفسق والفجور ، لا يأمن الشخص فيها على ماله ، وصارت العصابات السارقة ذات شوكة وقوة يتحملها أصحاب رءوس الأموال ، ويدفعون لها الإتاوات طوعاً أو كرهاً . فكثر أسباب العقوبة دليل على الحاجة إليها ، وعدم الردع في العقوبات الحاضرة دليل على الحاجة إلى العقوبات السابقة ، ثم هذه الكثرة دليل على أن النفوس الآن لم تسم عن نفوس السابقين ، وإن كانت العقول أوسع تفكيراً ، فالعقل وحده من غير خلق كريم يسيره ، وهداية إلهية تعمر القلوب بالإيمان وتهديها إلى الفضيلة ، وتربي فيها نوازع الخير ، وتعلو إلى السماء قد يكون أداة تدمير ، وإن كان في الأصل قد خلقه رب العالمين للبناء ، ولكنه لا يبني من غير محرك من دين يهدي إلى ضراط مستقيم : في الأخلاق والمعاملات الإنسانية بين الآحاد والدول ، والعدل بين القوى والضعيف ؛ وإن لم يفعلوا فإن قانون الغابة وهو قانون الظفر والناب هو الذي يحكم العالم ويسيطر ؛ حتى يهيء الله لهذه الدنيا هادياً منهم يرجعهم إلى الهدى السامى ، وبذلك تمتلئ الدنيا حقاً وعدلاً ، كما ملئت الآن جوراً وظلماً .

إن الذين يدعون إلى شريعة القرآن إنما يدعون إلى شريعة الديان ، ويدعون العالم إلى تلقي رسالات النبيين إلى الرجوع الدين ؛ لأن فيه النجاة ، ولأن فيه السعادة ولأن فيه العزاء في وسط ذلك العالم الاغلب ، ووسط ذلك المعترك الصاحب .

٧ — لقد دعونا وندعو إلى تحريم الربا في المعاملات الإنسانية ، لا نأكله ولا نؤكله ، فنأدى منا ناس من المسلمين — ولعل بعضهم من المؤمنين — بالويل والثبور وعظائم الأمور ، وقالوا إن في تحريم الربا انهياراً اقتصادياً ؛ وهدماً وخراباً .

ونحن نقول إن الذين نظموا الربا وجعلوه أساساً للتعامل قد أخذوا يتحللون منه وإنهم في سبيل أن يتركوه ، وكثير منهم تركه ، وكلهم قد آمن بأنه ليس الطريقة المثلى لافى المادة ولا فى الأخلاق لتنظيم الثروة وتنمية الإنتاج ، فإن الإنتاج لا ينمو ولا يتقدم إلا بالتوزيع العادل بين العمل ورأس المال ، ولم يقل أحد إن فى الربا توزيعاً عادلاً بين العمل ورأس المال . إن التوزيع العادل لا يسوغ أن يكون لصاحب رأس المال كسب

لم يعمل فيه شيئاً قط ؛ وكسباً رخيصاً لم يتعرض فيه الكاسب لخسارة ، فله الغنم المطلق وقد يكون للعامل الغرم المطلق .

٨ — تلك دعوتنا ندعو إليها بدعاية الله سبحانه وتعالى في كل الأديان ، لافي شريعة القرآن وحدها ، ولقد قيل لنا إن الأوربيين يعتبرون ذلك قصوراً ونكوصاً في النظم الاقتصادية ، فنقول لهم هذا نص التوراة قد نقلناه يلوح بين يدي القارئ قاطعاً لا مجال للريب فيه ، فهل إذا دعوناهم إلى ما في دينهم يكون ذلك قصوراً ونكوصاً . إنه الحق أيها الناس فاتبعوه ونحن ندعو إلى أمر مقرر في الشرائع السماوية كلها ، وليس لأحد أن يعيب الإسلام أو الشرائع السماوية به ، إنما العيب في الأهواء وفي العقول وفي الأعمال ، إنما العيب فيمن أركسوا في الهوى ومخالفة الأديان السماوية كلها ، إنما العيب في ألا يقوم العدل في توزيع الإنتاج بين العمل ورأس المال ، هذا هو العيب حقاً وصدقاً .

٩ — إن على كل مسلم أن يعمل بشريعة القرآن ، وعلى كل عالم بها أن يدعو إليها ويستمسك بأحكامها كاملة غير منقوصة ، وألا يخضعها لأحكام الزمان ، بل يخضع لها الزمان ، وليأخذ بقوله تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » . وقوله تعالى : « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » وقوله تعالى لنبيه الكريم : « فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير » .

قال رجل لأبي هريرة : أريد أن أطلب العلم وأخاف أن أضيعه .  
قال : كفالك بترك طلب العلم إضاعة له .

# العصبية الإسلامية فوق العصبية

لأبي نعمان المهاجر

(١)

يحلو لبعض الناس - مجارة لتيارات العصر - أن يتكاف لشريعة الإسلام ما ليس فيها ، وأن ينسب إليها من النظريات والنزعات ما قد يكون مناقضا لأصولها الأساسية مناقضة صريحة .

ولقد يحدث أحيانا أن يزعم زاعم بأن الإسلام يقر المسلمين على الاستناد إلى الروابط العنصرية ليضاعفوا قوة الشوكة ، ويوقدوا حرارة الحمية . وإن الإسلام ليرأى من ذلك أشد البراءة ، إذ هو إنما ظهر بمناهضة العصبية العرقية الجاهلية وأثار عليها حرباً مقدسة ، ومحاهها وألغاهها ، واستبدل بها الإخاء الإسلامى العالمى الذى لا يدع فرقاً بين الجنسيات والعنصريات ، ولا يفضل أحداً على أحد إلا بالتقوى ، وهذا أمر كان يعتبر في الأمور المعلومة من الدين بالضرورة . ولقد كان أبرز حادث في تاريخ النبوة المحمدية هو حادث الهجرة ، وهو نفسه الرمز الأعلى إلى أن الإسلام فوق العصبيات وفوق العنصريات ؛ فقد هاجر محمد عليه الصلاة والسلام من وطنه ومن قبيلته وعشيرته ، وذهب إلى « يثرب » حيث يعيش في قوم لا تربط بينه وبينهم غير عاطفة الإسلام وشرعه وميثاقه ، ولكنهم مع ذلك صاروا أملك له عليه الصلاة والسلام وأقرب إليه من أعمامه وعشيرته وأبناء قومه الأقربين ، بل لقد ذهبت به روح الجامعة الإسلامية إلى ما هو أبعد من ذلك فخرج بأمر الله سبحانه في كتيبة « يثرب » ليقاتل بها قبيلته التي كان فيها يومئذ بعض أعمامه وذوى قرباه ، . . . والتقى الجمعان في « بدر » وانكشف إذ ذاك الفرق بين كتيبة الإسلام التي غذتها النبوة بقدسها ، وروحانياتها ، وكتيبة القومية القرشية التي انسأقت إلى هذه المعركة حائرة مذنبذة يكبر على طباعها وأمزجتها أن تقاتل محمداً والمهاجرين معه من قريش وهم يمتنون إليهم بوشيجة القربى والدم .

وظهر المهاجرون والأنصار يداً واحدة وروحاً واحدة يقاتلون في سبيل الله كأنهم بنيان مرصوص ، قد وهبوا لله أرواحهم وأموالهم ، وتولت قلوبهم بحبه والهيام به حتى أتمحى منها حب الآباء والأبناء والإخوان والأقرباء ، ولقد كان الواحد



منهم يحمل سيفه على أبيه أو أخيه ، لا تعطفه عليه رحم ولا تأخذه فيه لومة لائم ، لأن حرارة العقيدة الجديدة كانت من القوة والإعجاز بحيث استطاعت أن تحدث انقلاباً في الطباع والأمزجة ، وتتحكم فيها ، وتسيطر عليها ، حتى لكأنما خلقتها خلقاً ثانياً ، وكأنما أصبح الرجل من أبطال الإسلام ، وهو لا ينتسب إلى أبيه ولا أمه ، بل ينتسب إلى نبوة الإسلام . . . إلى وطنية السماء . . . إلى روح الله .

وهذا كتاب الله يعلن مشيئة الله الصارمة في هذا الأمر الجليل : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه » .

فالقرآن الكريم ينفي بصورة قاطعة إمكان اجتماع الإيمان به عز وجل والموادة لأعدائه ، ولو كان هؤلاء الأعداء آباء المؤمنين أو إخوانه أو عشيرته ، ثم يعلم ذلك بعلمته النفسية الرائعة ؛ وهي قوله عز وجل : « أولئك كتب في قلوبهم الإيمان » ذلك لأن الإيمان الحق بالله ، يعنى استشعار عظمته ، وألوهيته ، وكونه الخالق المبدع لكل لحظة من حياة الإنسان ، وكل خلية من جسمه وقطرة من دمه ، فهو المالك لخلجات الروح ، وهو المهيمن على خطرات الفكر ، وهو القائم على كل نفس بما كسبت ، وعند أن تبلغ روح المؤمن إلى هذه الغاية التي أرادها الله عليها من الإيمان واليقين تصبح وقتئذ قادرة على الانصرام عن كل وشيجة من وشائج القرى والرحم ، إذا كان في هذه الوشيجة ما يحول بينها وبين الألوهية القاهرة المهيمنة .

إن يد الله التي تكتب في قلب المؤمن حقيقة الكون الكبرى ، لا تدع فيه مكاناً لغير هذه الحقيقة . . .

« أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه » ، وبعد أن يكتب الإيمان بالحقيقة الكونية الكبرى في قلوب المؤمنين يتلطف بهذه القلوب التي تحمل كلمة الله العلياء وتنوء بأعباء القضية الكونية الكبرى فيؤيدها بروح منه تنهض بهذا العبء الكوني ، وتصبح خلفاء الله في هذا العالم تتعم جماله ، وتزين مظهره ، وتفرغ فيه آخر صبغة لله من نور العقل الإنساني المبدع ، فإذا آمن القلب بربه وتمكن فيه الشعور بالمسؤولية الكونية وأيده على ذلك روح الله فغمره بفيضه السماوي أصبح من السهل عليه أن يتخلى عن عاطفته نحو عشيرته وذويه ، بل أصبح ذلك أمراً طبيعياً فيه لا يكون مؤمناً إلا به : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله » .

وهذه آية أخرى تشبه الآية السابقة ولكنها أشمل منها ، وأدل على الغرض الذي ينساق إليه الحديث ، قال الله سبحانه : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين » . فالقرآن هنا يحدد علاقة المؤمن بعنصريته ووطنه وقومه ، فهو لا يمانع في مطلق الحب لها إذا لم يكن فيها من حاد الله ورسوله ، ولكنه يحرم حبها في حالة أخرى ، وهي فيما إذا كانت قد تعارضت مع الواجبات التي يقتضيها حب الله ، أو صارت أحب إلى المسلم من الله ورسوله والجهاد في سبيله ؛ حينئذ يصبح الحب لها إثمًا ، ويصير صاحب هذا الحب آثمًا فاسقًا معرضًا لغضب الله ونقمته ووعيده : « فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين » .



نافخ الكير إن لم يحرقك بناره آذاك بشراره .

« أبو مدين »

# مَجْمَعُ عَالَمِي

لِلأستاذ سيد قطب

(١)

المجتمع الإسلامي مجتمع عالمي ، بمعنى أنه مجتمع غير عنصري ولا قومي ولا قائم على الحدود الجغرافية ، فهو مجتمع مفتوح لجميع بني الإنسان ، دون نظر إلى جنس أو لون أو لغة ، بل دون نظر إلى دين أو عقيدة .

إن الإسلام ينفي منذ اللحظة الأولى كل نعة جنسية أو عنصرية ، فيرد البشرية كلها إلى أصل واحد ، ويقرر أن لا فضل لجنس فيها على جنس ، ولا ميزة لعنصر فيها على عنصر ، وأن اختلاف الألوان واللغات لا يدل على ميزة ولا أفضلية ، ولم يرد به إلا التعارف لا التناكر ، وأن هناك ميزاناً واحداً لتقدير الأفضلية ، هو تقوى الله وطاعته ، والعمل الصالح في عباده .. وهي أمور شخصية لا علاقة لها بالأجناس والألوان : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ » (١) ... « لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَىٰ عَجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَىٰ » .

وبذلك ينفي عن المجتمع الإسلامي فكرة التمييز العنصري منذ اللحظة الأولى ، ويفتح أبوابه للبشر عامة على قدم المساواة الكاملة ، وعلى أساس الشعور الإنساني الخالص وليس أكره للحسن الإسلامي من ذلك التعصب الذي تثيره نعة الجنس على طريقة النازي أو طريقة اليهود ، أو نعة اللون على طريقة الأمريكان مع الهنود الحمر والزنج ، أو طريقة أفريقيا الجنوبية مع الملونين عامة .

ومن ثم تملك جميع الأجناس البشرية ، وجميع الألوان ، وجميع اللغات أن تجتمع في حمى الإسلام ، وفي ظل نظامه الاجتماعي ، وهي تحس آصرة واحدة تربط بينها جميعا ، آصرة الإنسانية ، التي لا تفرق بين أسود وأبيض ، ولا بين شمالي

وجنوبي ، ولا بين شرقي وغربي ، لأنهم جميعا يلتقون عند الرابطة الإنسانية الكبرى :  
 « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَخَلَقَ مِنْهَا  
 زَوْجَهَا ، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً » <sup>(١)</sup> . . . « ليس منا من دعا إلى  
 عَصَبِيَّةٍ ، وليس منا من قاتل على عَصَبِيَّةٍ ، وليس منا من مات على عَصَبِيَّةٍ » <sup>(٢)</sup>  
 وتبعاً لإزالة حواجز الجنس واللون واللغة . . . يزيل الإسلام تلك الحواجز  
 الجغرافية التي تقوم بين شعوب الأرض ، وتخلق ذلك الشعور القومي الحاد ، وتعمل  
 بذلك على خلق المنافسة الحظرة بين القوميات المتباينة ، وتؤدي في النهاية إلى التكاثر  
 الاستعماري ، الذي هو في صميمه استغلال أمة لأمة ، أو جنس لجنس ، أو وطن لوطن .  
 وبديهي أن الدافع الأول للصراع الاستعماري في العصر الحديث كان هو شعور القومية  
 الحاد ، المتميز وراء تلك الحدود الإقليمية ، ورغبة كل دولة في أن تجد للشعب المنعزل  
 الذي تمثله مجالا حيويًا لاستمداد الخامات والموارد البشرية ، ولتصريف المنتجات  
 والغلات الفائضة .

وبديهي أن الحروب الحديثة كلها قد قامت على هذا الأساس ، وأن الشر الذي  
 أصاب البشرية في الحربين الماضيتين ، والذي يوشك أن يدمرها في الحرب المقبلة . . .  
 كله قد نشأ من ذلك الشعور القومي الحاد ، ومن ضعف الروح العالمية والروح الإنسانية .  
 نعم إن الماركسية — على طريقتها في التفسير المادي للتاريخ وما يتبعه من التفسير  
 الاقتصادي — ترجع فكرة الاستعمار إلى الرأسمالية وحدها ، وتعد الاستعمار أعلى  
 مراحل الرأسمالية <sup>(٣)</sup> ، وتقرر أن الاستعمار يعني الحرب ، ولكن الذي يجرّد نفسه من  
 تلك النظرة التعسفية القائمة على تحكيم نظرية خاصة في واقع الحياة ، لا على استمداد  
 النظرية من الواقع . . يرى أن الرأسمالية وحدها لا تكفي لقيام نظام الاستعمار لو كان  
 الناس لا يدينون بفكرة القومية الضيقة . وكل ما كانت تستطيع الرأسمالية أن تنشئه  
 في هذه الحالة هو استغلال طبقة لحساب طبقة . وهذا وضع آخر غير الوضع الاستعماري  
 المعروف ، الذي هو في صميمه استغلال رقعة من الأرض بما فيها ومن فيها لحساب  
 رقعة أخرى ، لاختلاف الراية القومية التي تستغلان بها .

إن دعوى الماركسية أن الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية هي دعوى مستمدة من  
 العالم الذي تسود فيه فكرة العصبية القومية ، لا فكرة الأخوة العالمية ، والنظام

(٣) عنوان كتاب للنين .

(٢) أخرجه أبو داود

(١) النساء : ١



الإسلامي يحطم النظام الاستعماري بتحطيم العنصرية القومية . أما الاستغلال الطبقي فيحطمه بوسيلة أخرى ، موعدا بها في موضعها في مقال آخر .

إن الإسلام لا يعرف تلك الحدود الإقليمية ، كما أنه لا يعرف حدود الأجناس والألوان فالأرض لله جميعا ، وقد خلقها بما فيها لهذا المخلوق الإنساني : « وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً .. » والجنس البشري كله مستخلف في هذه الأرض لعمارتها وإنمائها واستغلال كنوزها ، والناس كلهم إخوة ، لا ينالون رحمة الله وعونه ما لم يتراحموا بينهم ، ويتعاونوا على العمل الصالح ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء » بدون تخصيص لجنس ولا عنصر ، بل بدون تخصيص لأتباعه المسلمين .

ومن ثم فالاستعمار والحرب الاستعمارية لا مجال لهما في التفكير الإسلامي ، لأن البشر في عُرْف الإسلام أمة واحدة ، فلامعنى لاستغلال جنس من الأجناس ، أو وطن من الأوطان لحساب الجنس الآخر ، أو الوطن الآخر . إن مثل هذا التفكير يبدو مضحكا أو مقررزا في التقدير الإسلامي ( وسنرى فيما بعد أن الحروب الإسلامية كانت لها أسباب غير هذه الأسباب ) .

وحين يزيل الإسلام تلك الحواجز الجغرافية أو العنصرية التي تقوم عليها فكرة الوطن القومي ؛ فإنه لا يلغى فكرة الوطن على الإطلاق . أنه يبقى على المعنى الطيب وحده لهذه الفكرة : معنى التجمع والتآخي والتعاون والنظام ، ومعنى الهدف المشترك الذي تلتقي عليه الجماعة من الناس ، فيجعل الوطن فكرة في الشعور لارقة من الأرض . هذه الفكرة يجتمع في ظلها الناس من كل جنس ولون وأرض ؛ فإذا هم أبناء وطن واحد ، وإذا هم إخوة في الله ، وإذا هم متعاونون على ما فيه خيرهم وخير البشرية جمعاء ... تلك الفكرة هي الإسلام : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ <sup>(١)</sup> » ... « الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنِيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُمُ بَعْضًا <sup>(٢)</sup> » ... « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضُوٌّ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَى <sup>(٣)</sup> » .

إن فكرة الإسلام هنا تقوم مقام فكرة الوطن في معناها الطيب ، الذي لا ينشأ عنه حب استغلال رقعة من الأرض لحساب رقعة أخرى ، ولا فكرة استغلال طائفة من البشر لحساب طائفة أخرى . وكل ما ينشأ عنها هو الشعور بأن كل أرض يظللها الإسلام هي وطن للجميع ، وكل مسلم على ظهر الأرض هو مواطن للمسلمين جميعاً .

وما من شك أن التزاحم على فكرة لا ينشئ شيئاً من الشر الذي ينشئه التزاحم على مصالحة ، وأن الرغبة في نشر فكرة لا تنشئ شيئاً من الشر الذي تنشئه الرغبة في نشر نفوذ ، بقصد الاستغلال الذي يسمونه الاستعمار !

\*\*\*

هنا تعرض شبهة ... أليس الإسلام يقيم عصبية مكان عصبية ؟ أليس يحطم التعصب العنصري والتعصب القومي لينشئ في مكانهما تعصباً دينياً ، قد يكون أخطر على الإخاء البشري من عصبية الجنس وعصبية الوطن ؟ ألم تذق البشرية من ويلات التعصب الديني قديماً في الحروب الصليبية وحديثاً في المذابح الهندية ما يعدل شرور الحروب العنصرية والحروب الاستعمارية ؟

والذين لا يعرفون الإسلام على حقيقته قد يكون لهم العذر في أن يقيموا لهذه الشبهة وزناً . ولا سيما الغربيون الذين شوّهت حملات الصليبيين فكرتهم عن الإسلام ، ولم يتم تصحيح هذه الفكرة لهم حتى الآن . لذلك نراها جذيرة بشيء من البيان . إن الإسلام ينادي بنفسه رسالة عالمية للبشر كافة ، فلم يجيء محمد صلى الله عليه وسلم رسولاً لقريش ولا لعرب الجزيرة ، ولا للجنس السامي — كما جاء للمسيح عليه السلام لهداية خراف بني إسرائيل الضالة كما قال — إنما أرسل محمد إلى البشر كافة في أقطار الأرض جميعاً : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا »<sup>(١)</sup> والإسلام يعد نفسه خيراً وبركة ورحمة للناس جميعاً : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ »<sup>(٢)</sup> « إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ »<sup>(٣)</sup> ، وتبعاً لنظرة الإسلام الإنسانية ، فإنه يريد للبشرية كلها أن تنعم بخيره ورحمته وهدايته ، ولا يريد أن يكون هذا كله وقفاً على قوم أو جنس ، على طريقة اليهودية مثلاً !

ولكنه في الوقت ذاته لا يحاول أن يقسر الناس قسراً على اتباعه : « لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ »<sup>(٤)</sup> . وكل ما يريد هو أن تترك له حرية الدعوة بين أهل الأرض جميعاً ، كي يصلهم بالخير المطلق الذي جاء به ، والذي لا يجعله وقفاً على أحد ولا حكرراً لأحد ، وأن تكفل لأتباعه حرية العقيدة ، فلا يفتنوا عن دينهم بالقوة ، ولا يضاروا في أنفسهم أو أموالهم ، وأن تتاح له القوة اللازمة لحمايتهم من

(٢) الأنبياء : ١٠٦

(٤) البقرة : ٢٥٦

(١) سبأ : ٢٨

(٣) الإسراء : ٩

هذا كله ، ثم لتنفيذ شريعته بينهم ، لأنه لا بد للقانون من قوة تكفل احترامه ، وتحقق النظام الاجتماعى الذى يقوم عليه بجانب الوازع النفسى والتهديب الحلقى .. وكل هذا يقتضى نوعا من التنظيم لأتباعه ورابطة معينة يقوم عليها هذا التنظيم .. ومن هنا يقرر الأخوة الإسلامية ، التى تقوم مقام الجنس ، ومقام الوطن ، بل مقام الدم ومقام النسب : « لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّنَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ » (١) ... « قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ ، وَأَبْنَاؤُكُمْ ، وَإِخْوَانُكُمْ ، وَأَزْوَاجُكُمْ ، وَعَشِيرَتُكُمْ ، وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا ، وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ، وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ » (٢) .

« إن من عباد الله لأناس ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى . قالوا : يا رسول الله تخبرنا من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله بينهم على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها . فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس » (٣) .

على أن المهمة التى ناط الله بها الأمة المسلمة ، ليست هى مجرد هداية الناس إلى الخير الذى جاء به الإسلام وحماية العقيدة الإسلامية وأصحابها ؛ إنما هى أكبر من ذلك وأشمل .. إنها كذلك حماية حرية العبادة والاعتقاد للناس جميعاً ، واستبعاد عنصر القوة المادية من ميدان الاعتقاد والعقيدة ، وحماية الضعفاء من الناس من عسف الأقوياء ، ودفع الظلم أيا كان موقعه وأيا كان الواقع عليه ، وكفالة القسط والعدل للبشرية كافة ، ومقاومة الشر والفساد فى الأرض بحكم الوصاية الرشيدة التى ناطها الله بهذه الأمة إذ يقول :

« كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » (٤) . « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » (٥) .

(١) المجادلة : ٢٢ . (٢) التوبة : ٢٤ . (٣) أخرجه أبو داود .

(٤) آل عمران : ١١٠ . (٥) البقرة : ١٤٣ .

وكذلك نرى أن المهمة التي ناطها الله بالمسلمين ، والمشاق التي تعترض طريقةهم لأداء تلك المهمة تقتضى ذلك التضامن المطلق على أساس الفكرة التي تجمعهم ، وتقوم منهم مقام الجنس والوطن والدم والنسب لأن عليهم واجباً أبدياً وأكبر من هذه الصلات كلها مجتمعة .

هنالك عصبية إسلامية إذن . ولكنها عصبية على هذا المعنى وفي تلك الحدود . عصبية التضامن بين المسلمين جميعاً في الإخلاص لفكرة ، وعصبية التعاون فيما بينهم على إيصال الخير الذي تحمله هذه الفكرة للناس جميعاً ، الخير الذي جربوه في حياتهم الخاصة فانتفعوا به انتفاعاً عظيماً ... إيصاله إلى الناس جميعاً بالدعوة إليه بالحسنى :

« ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ »<sup>(١)</sup>

وعلى إزالة الحواجز التعسفية من طريق هذه الدعوة . ومن هذه الحواجز الدولة التي تمنع رعاياها بالقوة من الاستماع إلى دعوة الإسلام ، أو تمنع الدعاة الإسلاميين بالقوة من نشر دعوتهم . ومن باب أولى حماية المسلمين أن يعتدى عليهم سواهم ، وحماية النظام الاجتماعي الإسلامي أن يخرج عليه أحد بالقوة .

وأخيراً لتحقيق العدالة الاجتماعية في الأرض كلها ، ودفع الظلم في أية صورة من صورهِ ، لا يهم أن يكون هذا الظلم واقعاً على مسلم أو غير مسلم ، واقعاً على فرد من فرد أو على أمة من فرد ، أو على أمة من أمة ... فالأمة المسلمة — كما أسلفنا — مكلفة دفع الظلم عن البشرية كافة لحساب البشرية كافة ، وبالنظر الإنسانية الشاملة لا المذهبية الضيقة ، تحقيقاً لمعنى الرحمة العامة ، التي أرسل بها محمد صلى الله عليه وسلم للعالمين ، وتحقيقاً للوصاية العامة التي ناطها الله بالمسلمين .

إنها ليست عصبية الكراهية للأجناس الأخرى . فالأمة المسلمة خليط من جميع الأجناس . ولا لأتباع دين معين ، لمجرد أنهم لا يعتقدون الإسلام . إنما هي عصبية الرغبة في اجتذاب البشرية كلها إلى الخير المشترك - بدون إكراه - وعصبية الرغبة في تحقيق العدل الكامل لكل فرد وكل شعب وكل جنس . حتى لو بقي هؤلاء جميعاً على دياناتهم بعد استماعهم لدعوة الإسلام . فمجرد كونهم آدميين يوجب على الأمة المسلمة أن تحميهم من الظلم في كل صورة من صورهِ ، وأن تقيهم الفساد في أي شكل من أشكالهِ .

ومثل هذه الأغراض وحدها كانت الحروب الإسلامية التي انبثقت من روح الإسلام ، فإذا وقع في بعض الأحيان من بعض الجماعات الإسلامية أن كانت حربهم لغير هذه



الأهداف بأن تدخل عنصر الرغبة في الاستغلال المادي ، أو عنصر الإكراه على الدخول في الدين ، أو أى عنصر آخر غير ما أسلفنا ... فذلك انحراف عن مثل الإسلام وأهدافه يكرهه الإسلام ويكره أصحابه ولا يقرم فيه على عمل ولا نية ... وقد كانت الأمثلة من هذا النوع قليلة على كل حال في تاريخ المسلمين . ويحسن أن نستعرض هنا بعض النصوص من القرآن والسنة لبيان تلك المعاني التي أسلفنا .

إن الإسلام لم يشأ أن تكون وسيلته إلى حمل الناس على اعتناقه هي القهر والإكراه في أية صورة من الصور . حتى القهر العقلي عن طريق المعجزة لم يكن وسيلة من وسائل الإسلام كما كان في الديانات قبله ، من نحو الآيات التسع لموسى ، والكلام في المهدو وإحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص لعيسى .. لقد شاء الإسلام أن يخاطب القوى المدركة في الإنسان ، ويعتمد عليها في الاقتناع بالشرعية والعقيدة . وذلك جرياً على نظريته الكلية في احترام هذا الإنسان وتكريمه .

وتبعاً لهذه الفكرة لم يشأ — من باب أولى — أن يجعل القهر المادي وسيلة للاقناع ، أو لحمل الناس على اعتناقه بالإكراه ، ولم يضق ذرعاً باختلاف الناس في المنهج والعقيدة ، بل اعتبر هذا ضرورة من ضرورات الفطرة ، وغرضاً من أغراض الإرادة العليا في الحياة والناس : « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ؛ ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم »<sup>(١)</sup> ... « ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ، ولكن ليبلوكم فيما آتاكم ، فاستبقوا الخيرات »<sup>(٢)</sup> .

ولكى يطمئن من رغبة النبي صلى الله عليه وسلم في حمل الناس على دينه ، ويهدى من حماسة المسلمين في تحقيق هذه الغاية يقرر القرآن الكريم أن إرادة الله لم تحتم أن يكون الناس جميعاً من المؤمنين ، ويقرر أن لا إكراه لأحد ليكون من المسلمين .

« وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا . أُفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ؟ »<sup>(٣)</sup> . « لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ »<sup>(٤)</sup> .

فليست غاية المسلمين أن يكرهوا أحداً على اتباع الإسلام ، إنما كل غايتهم أن تترك لهم حرية الدعوة ، وأن تترك للناس حرية الاعتقاد ؛ فإذا تبين الرشد من الغي . فقد تركت الحرية للناس بعد هذا التبين ، وبطل الإكراه والقهر بنص القرآن . « يتبع »

(٢) المائدة : ٤٨

(١) هود : ١١٨ ، ١١٩

(٤) البقرة : ٢٥٦

(٣) يونس : ٩٩

# من فقه القرآن والسنة

## شروط البيع

للاستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

(٢)

تكلمنا في الكلمة السابقة عن الشرط الأول من الشروط التي يجب أن تتوفر في العقد الصحيح ، وهو « ملكية المبيع » للبائع ، واليوم نتكلم عن الشرط الثاني وهو أن يكون المبيع موجوداً تحت يده ليستطيع تسليمه المشتري ؛ ذلك أنه قد يكون المرء مالِكاً لما يريد بيعه ، إلا أنه لم يحوزه بعد تحت يده ، أي أنه يريد أن يبيع ما اشتراه لآخر قبل قبضه ، فما الحكم الذي نأخذه من كتاب الله وسنة رسوله ؟ هنا نجد هذه الأحاديث :

- ١ — روى مالك عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من ابتاع طعاماً فلا يبيعه حتى يستوفيه » ، أو « حتى يقبضه » في رواية أخرى (١)
- ٢ — روى مسلم عن ابن عباس عن الرسول أنه قال : « من ابتاع طعاماً فلا يبيعه حتى يقبضه » ، وقال ابن عباس : وأحسب كل شيء بمنزلة الطعام (٢).
- ٣ — وروى أبو داود والدارقطني أن النبي نهى أن تباع السلع حيث تبتاع حتى يحوزها التجار إلى رحالهم (٣).

ومن مجموع هذه الأحاديث ، نرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر بعدم بيع المالك للطعام وغيره — وقد اشتراه — حتى يقبضه ، دون تفصيل للقبض فيجب أن يحمل على كل ما يعتبره العرف قبضاً وحيازاً . ولهذا ، يرى الإمام ابن حجر أن النهي عن البيع قبل حيازة السلعة المشتراة إلى « الرحال » خرج مخرج الغالب المعتاد فلا يشترط ، بل يحكم العرف فيما يعتبر حيازة (٤) .

(١) موطأ مالك ، ج ٢ : ٦٣ . (٢) شرح مسلم للنووي ، ج ٤ : ١٠ .

(٣) نيل الأوطار للشوكاني ، ج ٥ : ١٥٧ .

(٤) فتح الباري ، ج ٤ : ٢٧٩ .

وقد يوجد من يرى في بادئ الرأي أن في ذلك تضيقاً في التجارة وتعميراً في المعاملات ، وبخاصة في هذا العصر الذي نعيش فيه . فإن العرف التجاري في هذه الأيام يجيز أن يشتري الإنسان ما يريد . ثم يبيعه فوراً وهو جالس بمكتبه دون أن يراه ، بل أنه أن يقبضه .

هذا موجود حقا ، وهذا نفسه هو ما يجري في البورصة كثيراً ، بل لعله هو الأساس في أكثر عملياتها التجارية . ولكن ذلك ، على ما نعرف هو الذي شجع المضاربات في أقوات البلد وعماد ثرواتها الزراعية ، وهو ما سبب خراب كثير من البيوت وضياع كثير من الثروات التي ذهبت وتذهب إلى جيوب نفر قليل من كبار التجار والمضاربين .

إننا نعتبر بحق أن نهى رسول الإسلام عن « بيع ما لم يقبض » ، هذه الكلمة التي لا تزال تفرع الأصماغ منذ أربعة عشر قرناً ، يعتبر من معجزاته الخالدة . ولعل هذا الحكم التشريعي ومثله من الأحكام الصريحة النبوية ، هو ما دعا ابن رشد - فيلسوف الأندلس الأكبر - إلى اعتبار التشريعات الإسلامية أكبر معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم . إن اتباع هذا الحكم ، يجعل التاجر الكبير في أمن من المخاطرة والخطر ، ويعمل من اليسر عملياً لحد من تكديس الأرباح الفاحشة في جيوب نفر قليل من رجال البورصة ، مادام الواحد منهم سيجد نفسه مضطراً لأن لا يشتري إلا ما يستطيع دفع ثمنه . وقبضه فقط .

ومهما يكن ، فما العلة أو السبب في هذا النهي ؟ لقد خفيت العلة عن طاؤس حين روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يبيع الرجل طعاماً حتى يستوفيه أو يقبضه ، فقال لابن عباس . كيف ذاك ؟ قال : « ذاك دراهم بدرهم والطعام مُرْجأ » : أي مؤخر ، فيكون البيع الثاني قد دخله الربا .

ورواية الإمام مسلم تزيد هذا الفهم الذي فهمه ابن عباس وضوحاً ، فقد جاء فيها أنه عندما سأل طاؤس ابن عباس عن سبب هذا النهي قال له : ألا تراهم يتبايعون بالذهب والطحام مُرْجأ أي ، فإذا اشترى طعاماً بمائة دينار ، ودفعها للبائع ولم يقبض الطعام ، تم باع الطعام لآخر بمائة وعشرين ديناراً وقبضها والطعام لا يزال بيد البائع الأول ، فكانت باع مائة دينار بمائة وعشرين ديناراً ، فيكون الفرق ربا أحذره من غير عوض<sup>(١)</sup> .

(١) انظر فتح الباري ، ج ٤ : ٢٧٨ ، وص ٢٧٦ . وراجع أيضاً نيل الأوطار ، ج ٥ : ١٦٠ .

هذا الفهم من ابن عباس ، وهذا المثال الذى يوضحه ، فهم مقبول بلا ريب فقد نظر فيه إلى الربا الذى حرمه الله بكل ألوانه وضروبه ما ظهر منها وما خفى . وربما كان هو الفهم الوحيد الذى يتبادر إلى الأذهان فى تلك الأيام التى لم تكن فيها التجارة قد اتسعت هذا الانساع المشاهد الآن ، أو لم تكن المضاربات قد عرفت على الصورة التى نراها فى أيامنا هذه .

ومن ثم ، نرى أنه قد تكون علة النهى هى ما يكون فى هذه العمليات من الربا ، كما قد تكون العلة ما ذكرناه قبل من الحيلولة دون المضاربات الخطرة والإثراء الفاحش على حساب الغير ودون أن يتكلف المضارب دفع ثمن ما اشتراه ، كما أن العلة قد تكون هذا أو ذاك .

وإذا اعتبرنا أن العلة هى فقط ما فى هذه العمليات من الربا ، كان لنا أن نفهم أن الحالات التى هى مورد النهى كان البيع الثانى يتم فيها قبل أن تمر فترة طويلة على الشراء الأول ، وبهذا يكون فيها الربا أو شبهة القصد إليه على الأقل .

ولكن ، إذا مدت فترة طويلة بين العمليتين ، فترة يكون فيها المشتري الأول عرضة للكسب وللخسارة ، نرى أنه لا بأس من بيع ما اشتراه فى هذه الحالة قبل قبضه ، وذلك للتيسق حينئذ من انتفاء الربا وشبهته ، بل يكون الأمر تجارة بالمعنى المعروف والصحيح شرعاً ، كما أنه فى هذه الحالة تنفى أيضاً فكرة المضاربة والقصد إليها على النحو المحرم المعروف بالبورصة .

ثم ، بعد ذلك كله ، ما هو « ما صدق » الطعام فى هذه الأحاديث ؟ وهل الحكم يصح تعديته إلى غير الطعام حتى بأوسع معانيه ؟ إنه مما لا ريب فيه أن « الطعام » الموارىء بالأحاديث التى ذكرناها لا يقصد به فقط ما أُعدَّ للأكل كالقواكه والتمر مثلاً ، بل المراد به كل ما من شأنه أن يصير للأكل ولو بعد معالجة وإعداد كالحبوب ونحوها . وفى هذا ، يقول الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه :

الأمر المجتمع عليه عندنا<sup>(١)</sup> ، الذى لا اختلاف فيه ، أنه من اشترى طعاماً : بُرّاً أو شعيراً ، أو سُلْتاً أو ذرة أو دُخْناً ، أو شيئاً من الحبوب القطنية ، مما تجب فيه الزكاة ، أو شيئاً من الأدم كلها : الزيت والسمن والعسل والحل ، والجن والشيترق واللبن ، وما أشبه ذلك من الأدم ، فإن المبتاع لا يبيع شيئاً من ذلك

(١) يريد عمل أهل المدينة ، وهو عنده أصل من أصول الفقه .



حتى يقبضه ويستوفيه» (١).

ولكن ، إذا كان يبيع الطعام قبل قبضه منهى عنه لما في ذلك من الربا ، كما جاء في تفسير ابن عباس لطاؤس رضى الله عنهما كما رأينا ، فإننا نكاد لانفهم قصر الحكم على الطعام حتى بأوسع معانيه كما نقلناه عن إمام دار الهجرة .

ولهذا نرى ابن عباس يقول في ذلك الحديث : « ولا أحسب كل شيء إلا مثله » ، أى مثل الطعام ؛ أو كما جاء في رواية أخرى : « وأحسب كل شيء بمنزلة الطعام » (٢) .

وهذا كما يقول العلامة ابن حجر العسقلاني - ، من تفقّه ابن عباس ، والصحابي راوي الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم يكون من أعرف الناس بمعناه . على أن هذا « التفقه » ، يؤيده الحديث الثالث الذي رويناه آنفاً ، وهو أن الرسول نهى أن تباع السلع حيث تبتاع حتى يحوزها التجار إلى رحالهم ، فإن كلمة « السلع » هنا ، تعم كل مبيع ومشتري كما هو واضح (٣) ، وبهذا يعم تعليل النهى ويستقيم المنطق والقياس .

على أنه مع هذه الأحاديث التي رويناها ، ومع تعدية أبي حنيفة والشافعي هذا الحكم إلى كل مشتري طعاماً أو غيره ، نرى من الفقهاء من أجاز بيع كل شيء قبل قبضه ، حتى وإن كان طعاماً ! ولا ريب أن هذا توسعة على الناس في التجارة والمعاملات . ولكن لاندري كيف يفعل من ذهب إلى هذا الرأي بتلك الأحاديث !

إن هذه الأحاديث حجة واضحة قاطعة على من قال بذلك ، وهو عثمان البقي كما يقول القرطبي ؛ فإن النهى الوارد فيها يدل على التحريم ، وهذا ما يجعل العقد الثاني غير صحيح لأن الشرع لا يأذن به (٤) .

وقد يقال إن من ذهب إلى هذا الرأي لم ير أن النهى في الحديث للتحريم ، غير أن هذا الفهم يعارضه تماماً ما رواه الإمام مسلم عن ابن عمر من أنهم كانوا يشترون الطعام

(١) الموطأ ، ج ٢ : ٦٣ - ٦٤ . والبر ، القمح ، والست : ضرب من الشعير ليس له قشر كأنه الخنطة ، والدخن نبات حبه أملس يتغذى به وهو الجاورش بالفارسية ، والأدم والإدام ما يؤتمد (يفس) به ، والشريق لم يصل لتحديد معناه ، والحبوب القطنية : حبوب الأرض أو ماسوى الخنطة والشعير والزبيب والتمر ! أو الحبوب التي تطبخ كالمدس والفول ، وخضروات الصيف .

(٢) فتح الباري ، ج ٤ : ٢٧٨ في الأصل والشرح .

(٣) يقول ابن حجر إن أبا حنيفة والشافعي عذبا الحكم إلى كل مشتري ، إلا أن الأول استثنى العقار ومالا ينقل . فتح الباري ، ج ٤ : ٢٧٨ ، وراجع أيضاً في هذا نيل الأوطار ، ج ٥ : ١٥٨ - ١٥٩ .

(٤) فتح الباري ، ج ٤ : ٢٧٨ ، نيل الأوطار ، ج ٥ : ١٥٨ ، سبل السلام ج ٣ : ٢١ - ٢٢ .

من الرء كبان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان يبعث عليهم من يمنعهم أن يبيعوه حيث اشتروه حتى ينقلوه حيث يباع الطعام (١) .

وإذاً يجب أن نفهم أن النهي يراد به التحريم وتقدير عدم جواز بيع الطعام قبل قبضه ، وغير الطعام مثل الطعام كما سلف القول ، وعلى ذلك جرى الناس في عهد الفاروق عمر بن الخطاب وغيره من الخلفاء ، حتى أثر عنه وعن مروان بن عبد الحكم أنهما ردا بيع من اشترى طعاماً ثم باعه قبل أن يقبضه ، ورد المبيع كذلك دليل على عدم جواز العقد الثاني (٢) .

« الحديث موصول »



استعمال الرسول صلى الله عليه وسلم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« من ولي من أمر المسلمين شيئاً ، فوليّ رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه ؛ فقد خان الله ورسوله ، ومن رواية ثانية « فقد خان الله ورسوله وخان المؤمنين » .

« السياسة الشرعية » لابن تيمية

(١) فتح الباري ، ج ٤ : ٢٧٢ .

(٢) موطأ مالك ، ج ٢ : ٦٣ .

## خاطرة

### القلاج ياسعيد!!

كان يوماً جيلاً حلواً في كفر شبين القناطر ... وكانت زيلرة عن موعدة وعدتها منذ سنين ، ثم حالت دون التلبية الموائل ، إلى أن أذن الله أن أسعد برؤية إخوانها والحديث إلى أهلها ...

ونحن دعاة الإخوان لا تنتقل من بلد إلى بلد ، ومن قطار إلى قطار ، انتقالاً مظهرياً نصطنع له الشكل والزينة ، ولا نؤدى ذلك بتكليف إدارى تتكلف له جهداً ونجد له عناء ، بل إن أحدنا لا يفعل ذلك وهو يقصده « أولاً » أن يسوق إلى الناس الخير ... ولكنه ينتقل حين ينتقل ، ويضرب في الأرض حيث يأذن له الله ... ووازعه الحاضر حرص على مرضاة الله آخذ بروحه وفكره ، وضراعة إلى الله أن يكفر بخطواته ما لا يعلمه الناس من سيئاته ، وشوق ملج إلى إخوة له في الله أحبهم وأحبوه ، وعرف الحق الذي عرفوه ؛ فهم أسرة واحدة يجمعها نسب هذا الحق ، وجند جيش واحد يظلمهم لواؤه المعقود ، وشركاء أمناء في تجارة لن تبور ...

بهذا الحرس الكريم على مرضاة الله ، وبهذه العاطفة الحارة في الله ، يخرج الأخ الداعية من بيته حين يخرج ... إلى البلدة القريبة أو النائية ، وهو — ونسأل الله الصدق — مشرق النية ، بين الوجهة ... مقبل على الناس من هذه الجهة المباركة في نفسه الطيبة ، وإقباله حينئذ هو إقبال الحق الذي أخرجه من بيته ، وأثره في الناس هو أثر العاطفة الحارة التي جاء بها ليرى إخوانه ... لا يحدته هو ... ومن هو ؟ ... إنما يحدته النور الذي غمر هذه الجهة من نفسه ، والسر الذي سكنها وأطل منها ... إن الداعية إلى الله حين يسلم نفسه هكذا إلى الله فقد أسلمها للذي برأها ويرأ الناس ، وهو وحده القادر على أن يسوق إليها الخير ، وأن يسوقه بها إلى الناس .

\*\*\*

ومضت خطبة الجمعة وصلاتها والحديث بعدها ، وخرجنا إلى دار واسعة حيث اجتمع مئات من إخوان المنطقة في روحانية رقيقة غامرة ، وسأل بعضهم أسئلة أجبت عنها ، ثم قدم طعام الغداء « عيش وفول نابت » فكأنني والله ما طعمت طعاماً أشهى منهما ... وحانت ساعة الوداع فأقبل الإخوان مصابين ، واحداً واحداً ، حتى إذا جاء دور إخوان بلدة « القلاج » شد واحد منهم على يدي وقال : القلاج ياسعيد . يذكرني بزيارتها ، فدرت هاتان الكلمتان مسرى الكهرباء في دمي ، ونفذتا كالسهم إلى حبة قلبي ... ولا يزال لهما في نفسي رنين ... إني أسمع فيها الآن صوت عاطفة ملتزمة ، وغيرة على الدعوة صادقة ... ومن وحيها كانت هذه الخلطة .

# السياسات الاقتصادية في الإسلام

للأستاذ محمود أبو السعود

مستشار بنك الدولة بالباكستان

مقدمة :

يرزح العالم الحديث تحت أعباء جسام ، وينوء بحمل المدنية التي كادت أن تقصم ظهره . ولعل أبرز ظواهر الضعف الذي حل بالإنسان المتمدين هو تبلبل أفكار البشرية وانحلال المثل العليا وتضارب الآراء وتشعبها ، بل تناورها حول معاني الخير والفضيلة وانقسامها في تفهم الحلال والحرام ، والجائز والمستحيل والمستحب والمكروه ؛ حتى إنك لترى من الناس من يعتبر أن وجوده في هذه الحياة الدنيا ليس إلا عبثاً من الطبيعة ، ومنهم من يراه اختياراً من الله وسابق قدر ، وكل في نظر زميله صائب نابر عن الصواب . ومن الناس من يعتقد أن النظم الاجتماعية — بما تشمله كلمة اجتماع من سياسة واقتصاد ودين وتقنين ونفسيات وأخلاق ومعاملات — إنما هي فرض مقدور أو قدر لازم لا يحصى عنه ، وأن الإنسان عاجز عن أن يغير شيئاً منها ، ومنهم من يؤمن بأنها من خلق الناس وليس لله يد فيها ، وأن الدين ورجاله لم يعملوا إلا على إرضاء نزوات وشهوات واستعباد واستبداد .

وهكذا دواليك ترى من النباين في التفكير والعقائد والآراء ما جعل هذه الدنيا معسكرات متطاحنة تشتد بينها العداوة والبغضاء وتستعر من أجلها الحروب وتسفك الدماء ، وكلما مرت على الناس حقبة من الزمن ازدادوا ضللاً وتبايناً واختلافاً حتى لقد لبس عليهم الحق وضل عنهم ما كانوا يكسبون .

على أن أبلغ ما نطق به هذا التفاوت العجيب هو حق الناس في الحياة المادية وتنظيم المعاملات المعيشية ، وما كان هذا الأمر ليحتل مكانه الخطير الذي احتله الآن إلا تبعاً لما ساد العقل البشري من غرور ، وما تسلط عليه من وهم استبد بمنطقه ؛ فالحياة الدنيا كلها ليست إلا تفاعلات مادية ، والتاريخ عند فئة من الفلاسفة ليس إلا نتيجة لأوضاع اقتصادية ، وما يصدر عن النفس وما يحيش بالصدر وما يخطر على الفكر ليس إلا وسبها حاجة مادية أو شهوة حسية أو رغبة دنيوية ، وما كدح كادح إلا إرضاء لزعمة شخصية « مادية » . ثم تطورت هذه الفكرة المادية عند فلاسفة آخرين فزعموا — إن باطلاً وإن حقاً — أن هذه الرغبات المادية ليست فردية



ولكنها جماعية . ومن هنا ظهرت الرغبات الطبقيّة ، وظلت كل طائفة تعمل ما وسعها العمل وواتاها الجهد على أن تظل مصالحها الخاصة هي الغالبة المميّزة ، ولا يتم هذا إلا بالانتقاص من مصالح غيرها من الطبقات ؛ فليس من الممكن أن تشبع رغبات الطبقات كلها في وقت واحد مادام الجهد البشري محدودا وما دامت هبات الطبيعة محدودة .

من أجل هذا اعتقد البعض أن الأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة التي ورثها الناس عن أجدادهم ليست إلا ضلّالا مبيناً ومشيناً وعاراً في جبين الضمير الإنساني ، وخطّوا المذهب « المادى الفردى » بالمذهب « المادى التاريخى الماركسى » وكانت الفلسفة التي تنادى بإلغاء الممتلكات الخاصة وعدم اعتبار أى عامل من عوامل الإنتاج مستحقاً لجزء من فائض الإنتاج اللهم إلا العمل . ومن ثم قدسوا العمل أيما تقديس وصار شعار الحياة لديهم ، وعادوا من لم يؤمن بفلسفتهم كل العدا .

ويقابل هذا المعسكر الثائر على الأوضاع المتوارثة أولئك الذين يؤمنون بالفرد كنواة للمجتمع ويعتقدون أن الحياة لا تنتظم إلا إذا تركت للفرد حريته التي يقره عليها القانون المتواضع عليه ، وأن الطبقات متكاملة المصالح ، وأن الإنتاج له عوامله المختلفة من طبيعة ورأس مال وعمل وتنظيم ، وأنه لا صلاح للعالم ما لم يعط كل ذي حق حقه وأن انتزاع عوامل الإنتاج كلها من بين يدي الأفراد وجعلها بين يدي المجموع — في صورة الدولة أو الحكومة — تقرير بالشعب واستبداد بالرأى العام وتسفيه للحرية وحط الكرامة البشريّة وإلغاء للاختيار الفردى .

وبين هذين الطرفين توجد فئات لا عداد لها من الداعين إلى مذاهب الإصلاح الاجتماعي يحاولون التوفيق بين المذهبين ويبتدعون من أجل ذلك مختلف الوسائل والأفكار .

على أننا نجد أن المذاهب القائمة كلها : المتطرف منها والمعتدل إنما تقوم على فلسفة واحدة تنبئ على أن الإنسان إنما هو « مادة مجردة عن كل شيء » ، ولم تعد المدرسة النفسية التماسوية في بحثها في علم الاقتصاد أن تقرر أن جميع أركان الحياة إنما هي أركان مادية بحتة ، وعلى هذا الأساس أخذ الفلاسفة المحدثون يشيدون صروحاً من النظريات لا تلبث أن تهب عليها رياح الزمن حتى تدعها قاعاً صفصفاً كأن لم تكن بالأمس انصبت دراسة علم الاقتصاد على الجهود البشريّة التي تشبع رغبات مادية ، وإنه وإن كان من المسلم به أن الأعمال المعنوية التي تشبع رغبات معيّنة ( كمحاضرة الأستاذ أو مداواة الطبيب ) هي أعمال اقتصادية في الصميم مثلها مثل الخدمات التجارية وما شاكلها .

إلا أنه مفهوم أن هذه الأعمال والخدمات ليست مقصودة لذاتها ولكن للمادة وراءها فهي عند الاقتصاديين وإن كانت معنوية الوجود إلا أنها مادية النتائج ، وهي لا تؤدي إلا بدافع مادي ولغاية مادية .

ونمت نقطة أخرى لها أهمية خطيرة في الفلسفة الاقتصادية الحديثة سرت في علم الاقتصاد مسراها في سائر العلوم المعاصرة ، ونعني بها التخصص العميق والابتعاد عن سائر المؤثرات والعلوم الأخرى . حتى لقد ذهب الأمر إلى حد أن كثيراً من الاقتصاديين أمحباب المدرسة التجريدية ممن يفرضون في جدلياتهم وشرح نظرياتهم ما يسمى بالفرد الاقتصادي Gonis Economic يعنون به ذلك الفرد الوهمي الذي لا يتأثر إلا بالمقومات الاقتصادية ، ولا يصدر عنه تصرف إلا بوحى اقتصادي بحت . ولقد تغالى العلماء في التخصص — لا في الاقتصاد وحده ولكن في سائر ضروب المعرفة — حتى تباعدت الهوة بين مختلف المتخصصين ، وحتى صارت الظاهرة الواحدة ينظر إليها من عشرات الزوايا ؛ وإذا الفرد تائه بين ما ينعكس عليه من أشعة العلم المختلفة ، كل منها يريد السيطرة حتى لا يكاد يبقى لغيره أى وجود .

هذا التشعب العلمي في دراسة نواحي الفرد البشري أدى إلى تصدع ملحوظ في معرفة الحقائق المجردة ، بل أدى إلى شطط في الحقيقة العلمية الواحدة ، ذلك أن انصباب الدراسة الفنية على ناحية واحدة من نواحي الفرد باعتبار هذه الناحية قائمة بذاتها غير مؤثرة ولا متأثرة بغيرها ، إنكار صريح للواقع ومجافاة لأصول الفطرة وخروج على سنن الحياة ؛ إذ ما من متبصر في الفرد إلا وجد أنه يتأثر في كل أفعاله وضروب نشاطه بمختلف المؤثرات : القريب منها والبعيد ، فليس منا من يستطيع أن يعزل صباه عن شبابه ولا شبابه عن رجولته ، وليس منا من يستطيع أن يتصرف شراء أو بيعاً وهو بمعزل عن قواعد أخلاقه وتربيته وما تجيش به نفسه من مختلف الهواتف والنزعات ، بل ليس منا من يختار لنفسه مهنة يرتزق من ورائها ويتكسب إلا وقد استعرض قبل الاختيار من الاعتبارات الشتيته ما هو أبعد ما يكون عن الكسب والارتزاق .

هذان الاعتباران اللذان يسيطران على علم الاقتصاد الحديث من أقوى العوامل — بل أقواها — التي أدت إلى اضطراب حبله واختلال كثير من أموره ، فلا الإنسان مادة مجردة ولا هو منقسم في ذاته إلى أقسام متمايزة يمكن التفريق بينها . وكل ما وصل إليه الاقتصاديون من نتائج إنما بنوه على هذين الفرضين الرئيسيين . ومن هنا يمكن أن تدرك أن علم الاقتصاد الحديث ما زال بعيداً عما يجب عليه العلم أن يكون ولئن كان فلاسفة العلوم الطبيعية قد تفتنوا إلى هذا الوضع في السنين العشرة الأخيرة وحاولوا

جادين أن يصلوا بين مختلف البحوث ، إلا أن فلاسفة العلوم الاجتماعية ما زالوا يمعنون في التخصص ويتعد الواحد منهم عن الآخر ، وما زلنا نسمع يوماً بعد يوم عن الاقتصاد النفسى والاقتصاد العمالى والاقتصاد الصناعى وغيرها ، وما زالت المصنفات العلمية تتوالى كل منها محاولاً أن يسبق الآخر ضخامة وعمق بحث واستقلال فكرة .

### الإسلامية :

أوردنا هذه المقدمة حتى يسهل علينا أن نتفهم الفلسفة التى قام عليها الاقتصاد الإسلامى ، وهى فى الحقيقة فلسفة مبنية على الفطرة ، متمشية مع منطق البديهية ومقتضيات الطبيعة ؛ فالإسلام يعتبر الفرد أولاً مركباً من روح ومادة ، فلا المادة وحدها بمستطاعة البقاء ، ولا الروح وحدها تقدر على المساهمة فى هذه الحياة الدنيا ، وهو من أجل ذلك يعالج المشاكلى المادية مع علاجه للفرد باعتبارها جزءاً لا يمكن انفصامه ولا النظر إليه مجرداً عن الروح . وليس يضيرنا فى هذا المقام أن الروح أمر مجهول الكنه مستور التكوين ، ولا أن الروح أمر مختلف عليه من حيث التفسير ، فليس يهمنا إلا أنه ما من مكابر مهمما عتا يجرؤ على نكران وجود الروح أو على مدى أثرها فى حياة الناس .

هذه الروح معنى من المعانى يجب أن يحسب حسابه بجانب المادة ، والإنسان لا يعيش فى مجال مادمى مستقل عن مجال المعنى ، وهكذا يقر الإسلام مبدأ وجوب معالجة الإنسان فى نشاطه الدائب للحصول على إشباع رغباته وتحقيق إرادته بوصفه إنساناً مركباً من مادة وروح أو حس ومعنى .

والإسلام ثانياً يعتبر الفرد جزءاً من كل لا معدى له من مخالطة الغير والاستعانة بهم . وهو يقر أن صالح الجماعة قد يتعارض مع صالح الفرد ويغلب صالح المجموع بما لا يدع مجالاً لشك أو فسحة لريب ، وهو إذ يحد من حرية فردية أو يضع من قيود على تصرفات الأفراد إنما يراعى فى ذلك مصلحة المجموع . ولقد ذهب بعض فقهاء الإسلام إلى أنه يجزى قتل ثلث القرية إذا كان فى هذا حياة لثلثها .

وهذه الناحية لها أهميتها الاقتصادية ؛ فالنشاط الاقتصادى الذى يقره علماء الاقتصاد الحديثون يتعارض مع النظرية الإسلامية تعارضاً صريحاً . خذ مثلاً صانع الخمر وبائعها ، إن مثل هذا العمل يعتبر عملاً اقتصادياً سليماً فى نظر علم الاقتصاد ، فهو نشاط منصب على إنتاج مادة مطلوبة يحقق صاحبها لنفسه عن طريقها ربحاً ويشبع بها رغبة من يريد شرب الخمر وهو يأخذ نظير جهوده أجراً يقتضيه من الشارين . مثل هذا العمل لا يقره

الإسلام ، لأنه كما قدمنا لا ينظر إلى عامل الربح الفردى ، ولأنه — كما سيجىء القول — لا يفرق بين علم وعلم حين يدرس النفس البشرية ، وهو ينظر إلى عملية بيع الخمر نظرة عميقة شاملة ويحللها التحليل الآتى :

ما دام القصد من بذل النشاط الاقتصادى — فى الإسلام طبعاً — هو زيادة السعادة للبشرية ، سواء أكانت هذه الزيادة ناتجة عن زيادة الإنتاج المادى أو الراحة النفسية . وما دام الفرد لا يمكنه أن يعيش بمفرده بل هو محتاج أبداً إلى غيره ليتعاون معه . ولتبادل وإياه إنتاجه .

وما دامت سعادة الفرد لا تصل إلى حدها الأمثل Optimum إلا فى مجموع متعاون . متوافق يسير أفرادهم جميعاً نحو هذه الغاية .

وما دام إنتاج الخمر وبيعه للأفراد — فى مجتمع ما — لن يؤدى إلا إلى أمرين : زيادة فى دخل أحد الأفراد أو فى مكسبه المادى ، ثم سلب لأموال أفراد آخرين وتقليل من قدر سعادتهم المعيشية ، وبالتالي قلة فى مقدرتهم الإنتاجية تؤدى قطعاً إلى قلة فى الكسب وقلة تتبعها فى الاستهلاك .

من أجل هذا يحرم الإسلام الخمر الذى تحقق أن ضرره أكبر من نفعه ، وأن الخير الذى يعود منه على فرد واحد سيجر معه شراً مستطيراً على عشرات أو مئتين من أفراد نفس المجتمع .

وبتعبير اقتصادى حديث أن مجموع المنفعة الاجتماعية التى تعود من صنع الخمر . negative Social Utility والاتجار فيها منفعه سلبية The Aggregato So cial Utility والإسلام ثالثاً لا يتصور الاقتصاد ما لم تحكمه السياسة وتسند الأخلاق ويحمده القانون ويرتضيه الاجتماع ، وعموماً يرى الإسلام الاقتصاد حلقة فى سلسلة الحياة البشرية . وهو من أجل هذا يربطه بغيره من العلوم بأوامر متينة . وحين يقرر الإسلام قواعده الرئيسية فى الحياة الاقتصادية نجده قد قرر كثيراً من قواعد العلوم الأخرى فى نفس الوقت

هذا الوضع الذى غابه كثير من المحدثين هو عندنا آية الإعجاز ، وكفى أن مؤسسة «روكفلر» جهدت فى هذا السبيل أضنى الجهد ولم تصل بعد إلى بسائط الأمور ، يشهد بذلك العالم الطبيعى الفيلسوف Alexis Karil ألكسيس كارل فى كتابه المشهور الرجل المجهول Man the unkunr وهذا الوضع ذاته هو الذى يفسر فشل العالم فى معالجة مشاكله المختلفة ، وهو الذى أدى بالمجتمع الإسلامى الصحيح أن يصل إلى ما وصل إليه فى أيامه الأولى .

( يتبع )



## في الإسماعيلية

للإمام الشهيد حسن البنا

« في هدوء الإسماعيلية الجميل ، ومن  
أبنائها المباركين البررة ، تكونت أول نواة  
لتشكيلات الإخوان المسلمين وشعبهم » .  
حسن البنا

مع الأعيان :

كان أعيان الإسماعيلية في هذا الوقت يمثلون فكرتين — على أثر ذلك الخلاف الديني الذي أوجده خلاف المشايخ في بعض الآراء — والحقيقة أنه كان للمعاني الشخصية والعائلية الأثر الكبير في توجيه هذا الخلاف كما هي العادة في المجتمع المصري . وكان لا بد للموظف الذي ليس من أهل البلد أن يتصل بأعيانها وأن يغشى بيوتهم ، وقد انقسم الموظفون الذين يتصلون بهؤلاء الأعيان إلى معسكرين تقريباً ، كل ومن يتصل بهم ؛ ولكنني كنت أشعر أن طبيعة الدعوة الشاملة وهي دعوة إخاء ومودة تفرض على أن أتصل بالطرفين جميعاً ، وأن يكون هذا الاتصال في وضوح وجلاء ؛ فكنت إذا دخلت بيت زعيم أحد الفريقين تعمدت أن أقول شيئاً عن منافسه فلان ، وأنه لا يضر له إلا الخير ، ويذكره بالخير كذلك ، وأن من واجبهما أن يتعاونوا على ما فيه مصلحة بلدهما ، وأن الإسلام يأمر بهذا . إلى غير ذلك من أمثال هذه المعاني . وإذا سمعت من ينتقص أحد الفريقين في منزله الآخر رددت عليه بأن من الخير أن يكون واسطة التوفيق ، وأن لا ينقل من الكلام إلا ما يبينه على ذلك ، وأنه لا ضرورة للتورط في الغيبة وهي إنم كبير ، وهكذا . . . ولا شك أن هذا الكلام كله كان ينقل للطرف الثاني كما هي العادة في البلد الصغير — مع الأسف — فيسربه . وبهذا الأسلوب استطعت أن أظفر بصداقة الطرفين واحترامهما جميعاً ، ولقد كان لهذا الأسلوب أثر في اجتماع الطبقات المختلفة على دعوة الإخوان حين نشأت بعد ذلك .

الأندلس :

كان في الإسماعيلية في ذلك الحين نادى العمال الذى أنشأته جمعية التعاون والذى مازال قائماً يؤدي رسالة طيبة في محيط العمال الاجتماعى ، وكان فيه نخبة من الشباب المثقف ، الذى يريد أن يستمع ويتعلم ، وكان هناك كذلك فرع جمعية منع المعسكرات تلقى فيه بعض المحاضرات والأحاديث المتعلقة بهذا الغرض . وقد انتهزت هذه الفرصة ، واتصلت بالناحيتين ، وأخذت ألقى بعض المحاضرات الدينية والاجتماعية والتاريخية التى كانت سبباً في تهيئة نفوس كثير من المثقفين للدعوة المستقبلية .

عود إلى القاهرة :

ورغم الاهتمام الكامل بتدعيم الفكرة وتهيئة النفوس لها في الإسماعيلية فإن ذلك لم يحل بينى وبين الاهتمام بسير التيار الإسلامى الضعيف — حينذاك — واتجاهاته في القاهرة ، فكنت على صلة تامة بمجلة الفتح ، وكنت أعمل جاهداً على نشر الدعوة لها في الإسماعيلية والإكثار من مشتركى باعتبارها شعاع النور الأول الذى يسير العاملون للحركة الإسلامية في ضوئه .

جمعية الشباب المسلمين :

كما كنت على صلة تامة بمجموعة الشباب التى تعرفت إليها في القاهرة من قبل وتعاهدنا على العمل للدعوة الإسلامية العامة .

وكم كنت سعيداً فرحاً أشد الفرح حينما قرأت في الجرائد صباح يوم من الأيام نبأ الاجتماع الأول لتكوين جمعية الشبان المسلمين — وقفها الله — واختيار المرحوم عبد الحميد بك سعيد رئيساً لها على أثر مجهودات هؤلاء الإخوة من الشباب المؤمن . وأذكر أننى كتبت توجهاً إلى عبد الحميد بك سعيد معلناً اشتراكى بالجمعية وواظبت على دفع الاشتراك ، وتابعت خطواتها وما طرأ عليها من تطورات وحوادث بكل اهتمام ، وألقيت أول محاضرة هامة لى في القاهرة في ناديها بشارع مجلس النواب ، وأظنها كانت بعنوان « بين حضارتين » وقد كنت ولا زلت أكن لرجالها المؤسسين والعاملين فيها كل تقدير لجهودهم الإسلامية القيمة ، ولا زلت أذكر منهم الدكتور يحيى الدرديرى ، والأستاذ محمود على فضلى ، والأستاذ محمد الغمراوى ، والسيد محب الدين الخطيب وغيرهم ، جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً .

طريف :

ومن الطرائف أننا بعد أربعين يوماً من نزولنا إلى الإسماعيلية ، لم نسترح في الإقامة في البنسيونات ، فعولنا على استئجار منزل خاص ، فكانت المصادفة أن نجد دوراً أعلى ، في منزل استؤجر دوره الأوسط مجتمعاً لمجموعة من المواطنين المسيحيين ، اتخذوا منه نادياً وكنيسة ، ودوره الأسفل مجتمعاً لمجموعة من المواطنين اليهود ، اتخذوا منه نادياً وكنيساً ، وكنا نحن بالدور الأعلى نقيم الصلاة ، وتتخذ من هذا المسكن مصلى ؛ فكأنما هذا المنزل يمثل الأديان الثلاثة . ولست أنسى « أم شالوم » سادنة الكنيس وهي تدعونا كل ليلة سبت ، لنضي لها النور ونساعدوها في « توليع وابور الجاز » وكنا نداعبها بقولنا إلى متى تستخدمون هذه الحيل التي لا تنطلي على الله ؟ وإذا كان الله قد حرم عليكم النور والنار يوم السبت كما تدعون ، فهل حرم عليكم الانتفاع ، أو الرؤية ؟ فتعذر ، وتنتهي المناقشة بسلام .

ومى الإسماعيلية :

وكان للإسماعيلية وحى عجيب ، فهذا المعسكر الإنجليزي في غربها ، بيأسه وسلطانه وهيلته وهيلمانه ، يبعث في نفس كل وطني غيور الأسى والأسف ، ويدفعه دفعاً إلى مراجعة هذا الاحتلال البغيض ، وما جر على مصر من نكبات جسام ، وما أصاع عليها من فرص مادية وأدبية ، وكيف كان الحاجز الوحيد دون نهوضها ورقها ، والمانع الأول من وحدة العرب واجتماع كلمة المسلمين طوال ستين سنة .

وهذا المكتب الأنيق الفخم ، مكتب إدارة شركة قناة السويس في بهائه وروعته ، وسلطانه وسطوته واستخدامه للمصريين ومعاملته إياهم معاملة الأتباع المضطهدين ، وإكرامه للأجانب ورفعهم إياهم إلى مرتبة السادة الحاكمين ، واستئثار هذا المكتب بالإشراف التام على كل المرافق العامة ؛ فالنور والمياه ، والنظافة ، وكل ما هو من شأن المجالس البلدية ، تقوم عليه الشركة حتى الطرق والمداخل التي توصل إلى الإسماعيلية البلد المصرى الصميم ، كلها في يد الشركة ؛ فلا دخول إلا بإذن ولا خروج إلا بموافقتها . وهذه المنازل الفخمة المنتشرة ، في حى الإفريج بأكله ، يسكنها موظفو شركة الأجانب ، وتقابلها مساكن العمال العرب في ضالتها وصغر شأنها ، والشوارع الأنيقة في حى العرب كلها تحمل لوحات لم تكتب إلا بلغة هذا الاحتلال الاقتصادى ، الجاثم على صدرها حتى شارع المسجد كان مكتوباً هكذا Rue de Le Mosquée

ذلك إلى تخليد الأسماء الأجنبية على هذه اللوحات « نجرلى » ، « لير » « أوجينى » الخ . . .

كل هذه المعانى والخواطر كانت تتفاعل وتعمل عملها في النفس ، بخاصة إذا خلا المتأمل فيها بنفسه : بين خمائل الإسماعيلية ، وحدثاتها الغناء ، أو في شاطئ بحيرة التماسح الجميلة ، أو في جوف الغابات الصناعية ، على حافة الصحراء .

لقد أوحى الإسماعيلية بالكثير من المعانى ، التى كان لها أثر كبير في تكيف الدعوة والدعاية .

الأضواء المسلموه

وفي ذى القعدة سنة ١٣٤٧ هـ ، مارس سنة ١٩٢٨ م فيما أذكر ، زارنى بالمنزل ، أولئك الأخوة الستة : حافظ عبد الحميد ، أحمد الحصرى ، فؤاد إبراهيم ، عبد الرحمن حسب الله ، إسماعيل عز ، زكى المغربى ؛ وهم من الذين تأثروا بالدروس والمحاضرات التى كنت ألقها ، وجلسوا يتحدثون إلى وفى صوتهم قوة ، وفى عيونهم بريق ، وعلى وجوههم سنا الإيمان والعزم ، قالوا : « لقد سمعنا ووعينا ، وتأثرنا ، ولا ندرى ما الطريق العملية إلى عزة الإسلام وخير المسلمين ، ولقد سمعنا هذه الحياة : حياة اللذة والقيود ، وها أنت ترى أن العرب والمسلمين في هذا البلد لاحظ لهم من منزلة أو كرامة ، وأنهم لا يعدون مرتبة الإجراء التابعين لهؤلاء الأجانب .

ونحن لانملك إلا هذه الدماء تجرى حارة بالعزة في عروقنا ، وهذه الأرواح تسرى مشرقة بالإيمان والكرامة مع أنفاسنا ، وهذه الدراهم القليلة من قوت أبنائنا ، ولا نستطيع أن ندرك الطريق إلى العمل كما تدرك ، أو نتعرف السبيل ، إلى خدمة الوطن والدين والأمة كما تعرف ، وكل الذى نريده الآن أن نقدم لك ما نملك لنبرأ من التبعة بين يدي الله ، وتكون أنت المسئول بين يديه عنا وعمما يجب أن نعمل ، وإن جماعة تعاهد الله بخلاصة على أن تحيا لدينه ، وتموت في سبيله ، لا تبغى بذلك إلا وجهه ، لجديرة أن تقتصر ، وإن قل عددها وضعفت عددها » .

كان لهذا القول الخالص أثره البالغ في نفسى ، ولم أستطع أن أتصل من حمل ما حملت ، وهو ما أدعو إليه وما أعمل له ، وما أحاول جمع الناس عليه ، فقلت لهم في تأثر عميق : « شكر الله لكم وبارك هذه النية الصالحة ؛ ووفقنا إلى عمل صالح



يرضى الله وينفع الناس ، وعلينا العمل وعلى الله النجاح ؛ فلنباع الله على أن نكون لدعوة الإسلام جنداً ، وفيها حياة الوطن وعزة الأمة » .  
وكانت بيعة . . .

وكان قسماً أن نحيا إخواناً نعمل للإسلام ونجاهد في سبيله .  
وقال قائلهم : بم نسمى أنفسنا ؟ وهل نكون جمعية أو نادياً ، أو طريقة أو نقابة حق نأخذ الشكل الرسمي ؟ — فقلت : لا هذا ، ولا ذاك ، دعونا من الشكليات ، ومن الرسميات ، وليكن أول اجتماعنا وأساسه : الفكرة والمعنويات والعمليات . نحن إخوة في خدمة الإسلام ؛ فنحن إذن « الإخوان المسلمون » .  
وجاءت بغتة . . . وذهبت مثلاً . . . وولدت أول تشكيلة للاخوان المسلمين من هؤلاء الستة ، حول هذه الفكرة ، على هذه الصورة ، وبهذه التسمية . . .



### مسئولية القلم

وَمَا مِنْ كَاتِبٍ إِلَّا سَتَنَبِقُ كِتَابَتَهُ وَإِنْ فَتِنَتْ يَدَاهُ  
فَلَا تَكُتُبُ بِكَفِّكَ غَيْرَ شَيْءٍ بِسُرِّكَ فِي الْقِيَامَةِ أَنْ تَرَاهُ

# \* الشريعة المحمدية

لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى أحمد الزرقا

أستاذ الشريعة الإسلامية بالجامعة السورية

التشريع روح المجتمع وقوام حياته ، لأن هذه الحياة في كل مجتمع ملاكها مصالح الأفراد والجماعات ، وتلك المصالح الحيوية صوانها النظام وضمانيها التشريع ؛ وإلا كانت الفوضى التي لا تقوم معها حياة اجتماعية ، بل ترد الإنسان إلى حياة ابتدائية فردية أشبه بحياة الحيوان ، تحل فيها إرادة الفرد محل النظام ، وقوته الشخصية محل التشريع .

وخير التشريع ما كانت قواعده أظهر عدلاً ومساواة ، وأبلغ إصلاحاً للأوضاع الاجتماعية ، وأوفر حماية للضعفاء ورفقاً بهم ، وأبعد عن الجور واستبداد بعض العناصر ببعض .

وعظمة التشريع المخلاة إنما هي في قواعده وأصوله ، لا في فروعه وفصوله ، فكلما كانت تلك القواعد أحكم وأكمل ، وتلك الأصول أعم وأكفل ، كان التشريع أخلد حياة ، وأخصب نتائجاً ، وألمع سراجاً ، وأوفى بحاجات العصور . وفي الأمم ذات التراث التشريعي القيم يوجد إلى جانب نصوص الشارع فقه للعلماء المشرعين واجتهاد للقضاة الحاكمين : يفرع على تلك الأصول العامة ، ويبني على تلك القواعد الثابتة ، وينزل الحوادث على المنازل اللائقة بها من تلك الأصول والقواعد ، ويوسع النصوص المحدودة إلى آفاق غير محدودة بالقياس والاستنباط وتحكيم العلل التي راعاها الشارع واستئارة الدلائل .

---

(\*) إن نسبة التشريع الإسلامي إلى محمد صلى الله عليه وسلم ووصفه « بالمحمدي » لا يعني عندنا معاشر المسلمين ما قد يتبادر إلى فهم غير ما ممن وقعوا في عبادة الأشخاص وتأليههم ، ولا ما يدور بخلد كتابهم متأثرين بهذا التأليه الفاسد حين يكتبون عن الإسلام فيسمونه Mohammedanism وعن المسلمين فيسمونهم Mohammedans ، فإن كل مسلم يفهم عن نبية قول الله : « إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي » ونسبتنا إليه هي نسبتنا إلى الرسالة التي تنزل عليه الوحي بها . يؤمن بالله ويؤمن بالمؤمنين . وحبنا له صلى الله عليه وسلم وتلسمنا لمواطن العبرة في سيرته العطرة أمر دعانا الله إليه : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » وذلك لغاية واضحة لا يتجه القلب إلا إليها ولا يعرف رسول الله من لم يتجرد لها : « لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » .

« التحرير »

هذه نظرة خاطفة يلح منها مكان التشريع وقيمته في الحياة الاجتماعية ، ومضمار تكافله ، وميزان تفاضله ، فما هو أثر نبينا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام في هذه السبيل العالمية العليا ؟ .

لقد نشر النبي عليه الصلاة والسلام ، إلى جانب العقيدة النقية التي طهر بها العقل البشري من وضيع الوثنية ، تشريعاً عاماً خالداً القواعد والأصول . ولم يعهد التاريخ تشريعاً مثله تكفلت قواعده المتينة وأصوله الواسعة بحمايته وثباته أمام معاول التهديم وتطورات الأوضاع الزمنية ، فكان بمثابة مروحة وسعة أصوله كفيلاً بالصمود أمام الطوارئ ، وبالكفاية لاحتياجات الأجيال المتعاقبة ، والمدنيات المتنوعة .

فنحن إذا نظرنا إلى هذا التشريع نظرة عامة خارجية نجد أنه كان أساساً لفقه عظيم ملأ جوانب الأرض ، وعمر آلاف المدارس ، ووسع مئات المذاهب الاجتهادية التي قامت على أسسه ، واستمدت من نصوصه وأصوله ، وكان لكل منها سلطان قضائي في مملكة أو ممالك من العالم الإسلامي ، ولا تزال طائفة من تلك المذاهب الفقهية الاجتهادية — وفي طليعتها للمذاهب الأربعة : الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي — هي الشرع السائد ، والقضاء النافذ بين الملايين الكثيرة من الناس ، يقوم به بينهم عدل شامل ونظام كامل واضح الحدود والمعام ، كفيل بقمع الفساد والمظالم ، ضابط لحقوق الناس وسلطان الحكم ، ولا تستطيع النظريات الحديثة في التشريع في هذا العالم الغربي المدني الجديد أن تخرج عما وصلت إليه مجموعة تلك المذاهب الفقهية لدينا من حيث الأساس ، ولا أن تطالعنا بجديد لم يسبق فقهاؤنا إلى بحثه وتمحيصه على ضوء المبادئ والقواعد التشريعية الشاملة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم ، إلا ما يكون من قبيل اختلاف الوسائل والأساليب والأشكال والتراتب .

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن الفقه الأوربي الحديث يرتب مصادر الحقوق جميعاً ويردها إلى خمسة مصادر كلية أساسية تعتبر هي المولدات المباشرة للحقوق والالتزامات بين الناس ؛ فكل حق لأحد لا بد أن يتولد عن أحدها ، وهي : العقد ، والإرادة المنفردة ، والفعل الضار ، والإثراء بلا سبب . والقانون ، أي إرادة الشارع .

فالشريعة المحمدية قد تضمنت كل هذه المصادر الالتزامية الخمسة بنصوصها الأساسية في القرآن والسنة قبل نحو أربعة عشر قرناً :

( ١ ) فأما المصدر الأول وهو العقد ، فما جاء عنه في القرآن قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » .

(ب) وأما المصدر الثاني وهو الإرادة المنفردة فقد جاءت بتطبيقاته آيات وأحاديث كثيرة ، منها ما جاء من الوصية التي تنعقد وتثبت فيها الحقوق بمجرد إرادة الموصي ، وعن انعقاد النذور بالتزام الناذر ، وانعقاد الوقف بإرادة الواهب ، ووقوع الطلاق ونتائج المالية بإرادة المطلق ، إلى غير ذلك من صور الإرادة المنفردة ومصدريتها في إنشاء الحقوق .

(ج) وأما الفعل الضار فما جاء عنه في القرآن جميع آيات النهي عن العدوان ، ومسئولية قتل الخطأ ، وقوله تعالى : « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » ، وقوله عليه السلام : « لا ضرر ولا ضرار » وهو من أصول الشريعة الكبرى .

(د) وأما الإثراء بلا سبب والمسئولية الحقوقية فيه فمما جاء من شواهد ومؤيداته في القرآن قوله تعالى : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » .

(هـ) وأما التشريع ومصدريته المباشرة في إنشاء الحقوق فشواهد أكثر من أن تحصى كإيجاب الزكاة ونفقة الأقارب وحق الشفعة وغيرها .

فالفقه القانوني الحديث في ترتيبه البديع لمصادر الحقوق والالتزامات لم يستطع أن يأتينا بمصدر جديد لم تسبق إلى تقريره نصوص الشريعة المحمدية التي أعلنها النبي صلى الله عليه وسلم في أمة أمية جاهلة لم تعرف للشرائع معنى ولا أثراً . ويصرح العلماء الراسخون من فقهاءنا أنه لا يمكن أن تقع حادثة في مستقبل الحياة البشرية : حقوقية أو جنائية ، فردية أو دولية ليس لها حكم في شريعة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

وليس هذا مجرد دعوى ، بل هو مبنى على معرفة بفقه الشريعة ومباينها ، فإن هذه الشريعة تضمنت نصوصاً وأقضية خاصة معينة ، وأقامت حدوداً للحقوق واضحة مبينة ، وبنت أصولاً ومبادئ في مفهوم العدالة وفي حقوق الأفراد والجماعات ، ونصبت أهدافاً وغايات من المصالح العامة الثابتة الاعتبار ، وفوضت للعلماء والحكام أن يقرروا للحاجات الزمنية أحكاماً تعالجها على ضوء المصالح الدينية والمدنية والفردية والاجتماعية تلك المصالح التي رسمت شريعة محمد صلى الله عليه وسلم حدودها ، وأمر القرآن والسنة باتخاذها أساساً للاستنباط والتفريع .

وإن نظام المصالح المرسلة في شريعة الإسلام أوسع باب عرفه فقه الشرائع في التاريخ وهو على هذه السعة مضبوط الحدود ، قاطع للفوضى ؛ فهو يقوم على أساسين يرجع إليهما العلماء والحكام في كل ما لم تتناوله الشريعة بالنص ، ولم تفرض فيه حكماً خاصاً :



١ — الأساس الأول : صيانة الضروريات الخمس : أى الأركان التى ترى الشريعة أنه لا تصلح حياة بشرية دون صيانتها ، وهى :

الدين ، والنفس ، والنسل ، والعقل ، والمال ؛ فكل أحكام الشريعة تتضافر على صيانة هذه الأركان ، ولا يقبل فى الشريعة حكم يهدم شيئاً منها .  
وعلى هذا الأساس الأول تقوم جميع الفروض الكفائية التى لم تحدد الشريعة أنظمتها بل تركتها إلى تقدير العلماء والحكام ، كإنشاء المدارس ووضع أنظمتها لصيانة العقول وتثقيفها وحفظ الدين وتعاليمه ، وإنشاء المحاكم وترتيباتها لصيانة الأموال والحقوق ، وكتأسيس الجيش ونظامه وفرض العقوبات القاطعة للأجرام والمفوضة إلى الحكام ، وغير ذلك مما يطول شرحه .

٢ — والأساس الثانى : قبول جميع التدابير التى لم تبلغ مرتبة تلك الأركان الخمس فى ضرورتها ، وإن كانت سد حاجة معتبرة أو تيسر المرافق السكالية ككثير من العقود والأحكام والإباحات ، مثل الصيد وتنظيمه ، وأنواع الشركات وما تدعو إليه الحاجات ، والأوضاع الاقتصادية الزمنية من عقود جديدة كعقد نزول الفنادق بالطعام والشراب فى العصر الحاضر .

وإلى جانب نظام المصالح هذا يقوم فى نصوص الشريعة وقواعدها مبدأ آخر لقبول التدابير الاستثنائية التى تعرضها حالات الاضطراب ودفع الحرج ، فالضرورات تبيح المحظورات ، وتسمح فى كل طارئة أو قوة قاهرة بحكم استثنائى مؤقت يعتبر أهون الشرين ، ويحول بزوال الاضطراب وذلك كى لا تكون أحكام الشريعة الأصلية حرجاً يوجب التمسك به تلفاً فى الأنفس أو تكليفاً بما لا يطاق فى ظرف من الظروف .

فمن ثم كان هذا الاستيعاب الشامل فى أسس الشريعة الإسلامية وذلك الفقه الحبيب الذى نتج عنها وتولد منها : فكل ما لم يتناول النص الصريح تناوله أصل صحيح من أصول الشريعة وقرر له حكمه المناسب فى ذلك الإطار العام تفريعاً أو قياساً .

هذا إذا نظرنا إلى التشريع المحمدى الأساسى نظرة عامة خارجية تلم بشواهد دونه وقواعده ، فأما إذا أوغلنا قليلاً فإننا نصل إلى أسس وقواعد من أخلد ما عرف فى تاريخ الشرائع :

فلقد نشأ النبي عليه السلام فى محيط وثنى ليس أهله على شئ من التشريع والنظم المدنية أو الجزائية : حياة قبلية لا حكومة فيها ولا نظام ، شريعته الغزو ، وقانونها النار ، والمرأة فيها متاع ، لا حق لها ولا إرث ، إلى آخر ما هو معروف من حياة

العرب في الجاهلية ، فجاء النبي عليه السلام بشريعة كاملة قرر فيها المبادئ التي تأتي منها بالأمثلة التالية :

أولاً : قرر حقوقاً للنساء مساوية لحقوق الرجال إلا في قليل من المواضع التي قضت ببعض التفاوت فيها فوارق الطبيعة والوظيفة ، ونادى بحرمة إرادتهن وحرية عقودهن فلا تكره فتاة على زواج أو زوج ، ولا يستبد ولي أو زوج بشيء من حقوقها ، وأوجب مزيد الثواب بالعناية بالبنات ، فأصبح العرب بعد وأد البنات في الجاهلية يقول بعض أبطلهم في الإسلام :

لقد زاد الحياة إلى حباً      بناتي ، إنهن من الضعاف  
ولولا ذلك قد سرت مهري      وفي الرحمن للضعفاء كاف

ثانياً : حرّم تجارة الأسياذ بأعراض الإماء ، وقد كان ذلك شائعاً في الجاهلية ، فقال القرآن العظيم : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء » .

ونادى بالإحسان إليهن والزواج بهن ، بعد أن كانت الأمة متاعاً مكتسباً وليس محلاً لزواج الأحرار .

ثالثاً : حرّم استرقاق المدين ، وكان ذلك شائعاً في الجاهلية ، بل كان في الشرع الروماني من حق الدائن قتل مدينه العسر ، وإذا تعدد الدائنون فلهم تقطيعه ويأخذ كل منهم قطعة من جسده .

فقام محمد بن عبد الله ينادى في قرآنه : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون » .

رابعاً : حرّم أكل الأموال والحقوق إلا بأسبابها الشرعية ، ورتب على ذلك الضمانات الوافية والزواجر الواقية .

خامساً : اعتبر العرف في كل ما لا يصادم نصاً خاصاً قاطعاً وجعله أساساً لتحديد

كثير من الحقوق :

سادساً : - وهذا من أهم المبادئ القانونية اليوم - أسس رضائية العقود ، فجعلها

خاضعة للإرادة الحرة ومورثة آثارها بمجرد التراضي دون التوقف على الأشكال والمراسم التي كان مصطبغاً بها الشرع الروماني ولها آثار في جاهلية العرب . فقد كانت العقود عند الرومان لا تفيد آثارها بمجرد التراضي ، ولا تنعقد إلا بمراسم مخصوصة ، والبيع لا يتم إلا بشكليات مضمّنة كحمل النقد والضرب به على الميزان ،

وإحضار جزء من التراب لوزنه وتسليمه في بيع الأرض إلى غير ذلك ، وبدون هذه المراسم الخاصة بكل عقد لم يكن يعتبر التعاقد . فجاءت شريعة محمد عليه السلام بتبني العقد على مجرد التراضي وتجعله ملزماً . إلى غير ذلك من المبادئ الأساسية العظمى في الشريعة ، ولم تتبع في ذلك تطوراً وتكاملاً تدريجياً شأن بقية الشرائع المعروفة في تاريخ البشر ؛ فجميع الشرائع الراقية في هذا العصر ذات الأصول القديمة لو رجعنا إلى أصولها في التاريخ لوجدنا منها أقبح صورة أشبه بأسطورة : ففرنسا التي تعد اليوم من أرقى الأمم في تشريعها القانوني الحاضر ، قد كانت إلى القرن الثامن عشر تحكم الحيوانات وتنقض عليها بالعقوبة !!

أما الشريعة المحمدية فقد ولدت فيها كاملة هذه المبادئ التي لم يصل إليها التشريع الحديث إلا في نهاية شوط الحضارة .

يقرر الأستاذ الكبير العلامة عبد الرزاق أحمد السنهوري في بحث مبدأ سلطان الإرادة العقدية ورضائية العقود في الفقه الأوربي الحديث من كتابه نظرية العقد (ص ٩٤) :

« أن جميع الشرائع الوضعية الحديثة التي أقرت أخيراً مبدأ سلطان الإرادة المطلقة في الشرق والغرب قد مرت أصولها بمراحل طويلة من القيود الشكلية المختلفة في إنشاء قواعد العقود ، إلا الشريعة الإسلامية فإنها أنشأت قواعد العقد إنشاءً جديداً محرراً من جميع القيود الشكلية التي تفرضها الأعراف والعادات في جاهلية العرب وفي شرائع الأمم المحيطة بهم ، وقد كان هذا من الظواهر الغريبة غير المعهودة في تاريخ التشريع ، وهذه المزية التي تفرد بها الشرع الإسلامي مدينة لعامل واحد هام هو المصدر الديني فيه » .

ويقول أيضاً في بحث التعاقد بالمراسلة ( في الفقرة ٣/٣ منه ) .

« العقد في الفقه الإسلامي يبنى على توافق الإرادتين دون تحفظ ، فهو رضائي إلى حد جاوز فيه القوانين التي تأخذ برضائية العقد » .

وأهم من هذا كله أن التشريع المحمدي ربط احترام التشريع بالعقيدة حتى يكون الإنسان قاضياً على نفسه إذا أراد أن يكون مؤمناً ؛ فمن استطاع أن يمدح القضاء حتى أخذ ما ليس له بحق أو منع صاحب حق عن حقه فإن القضاء له لا ينجيه ، بل تبقى ذمته معلقة وهو غاصب لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يؤدي الحقوق إلى أربابها .

وهذا ما عجزت عنه الشرائع الوضعية التى لا محل فيها لفكرة الحلال والحرام ، بل ما قضى به القاضى فهو حق وما لم يقض به فهو باطل ، فالإنسان فى ظل هذه الشرائع الوضعية لا يحترم التشريع إلا ما دام القضاء مصلتاً فوق رأسه .

وأساس هذا النجاح فى فرض احترام التشريع فى شريعتنا المحمدية أن النبى عليه السلام قد بين أن الأحكام الشرعية هى من إرادة الله ولو كانت من الأحكام المبنية على العرف والتى تتبدل بتبدل الزمان وتقدير الحكم ومقتضيات الأحوال . ففى الشرائع الوضعية لا يوجد ضامن يضمن احترام الناس للتشريع سوى القوة القضائية ، أما فى الشريعة المحمدية فإن النبى صلى الله عليه وسلم أضاف ضامناً آخر هو الديانة ، وبناء على ذلك ربط النبى صلى الله عليه وسلم جميع الحقوق بنظرين اثنين : نظر الديانة ونظر القضاء : فالديانة تحاكم الإنسان بناء على الواقع الذى يعلمه هو من نفسه لا على الظاهر ، والقضاء يحاكمه على الظاهر : فقد تفقد البيئة على حق من الحقوق وهو واقع ، فيقضى القاضى برده ، فالشخص يبقى فى نظر الشريعة مديناً ولو برأه القضاء وهو عند الله كالغاصب حتى يوفى الحق المكتوم .

فبذلك أصبح كثير من الناس يحترم الحق ويؤديه ، ويعترف به ولو لم تكن عليه بيئة ويرضى الإنسان بحكم الشريعة ولو لم يوافق هواه ؛ وأصل ذلك قول النبى عليه السلام : « إنكم تختصمون إلىّ وأنا بشر ، ولعل أحدكم يكون الحن (١) بحجته من الآخر فأقضى له على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له بشىء من حق أخيه فإنما أقضى له بقطعة من النار ، فليأخذها أو فليدعها » .

وقد جعل النبى عليه السلام فوق هذا دراسة فقه الشريعة وقوانين أحكامها من صلب الدين وعبادة الله فقال : « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » فأصبح الإنسان بعد ذلك يعكف على دراسة الشريعة ومعرفة الحق من الباطل ، والحلال من الحرام ، للتدين لا مجرد التزين ، وقياماً بواجب التفقه لا مجرد التفكه . وإلى هذا يرجع الفضل فى انتشار تعلم الشريعة بين المسلمين بنسبة تفوق كثيراً نسبة من يدرسون القوانين فى الأمم الأخرى ، وكان من ذلك العدد العظيم فى التاريخ من فقهاء المسلمين الذين دونوا ذلك الفقه العظيم . هذا بعض أثر محمد صلى الله عليه وسلم فى التشريع عرضنا منه ما تسمح به هذه الكلمة العجلى .



# مصر والحياة

للكباشي أركان حرب أبو المكارم عبد الحى

أمنية جميلة تهفو إليها كل نفس ، ويتمناها كل فريق . . . وتسمى إليها دول كثيرة . . .  
أمنية جميلة تدعو لها الأمهات والأولاد فى الصلوات . . . بعد أن يثس الجميع  
من دعوة السلام . . . أمنية لينها تتحقق لمصر بالذات ، فى حرب قادمة لن نجنى منها  
سوى آلام وأحزان . . .

نعم . . . فقد كثر الكلام فى هذه الأيام ، وأخذت الدول الكبرى تردد بأن  
الحياة كلمة ليس لها اليوم وجود ، ويدللون على ذلك بأن هذه الكلمة أصبح  
لا وجود لها فى قاموس المعاملات العسكرية ، وقد عزز هذا القول ما استخلص  
من دروس الحرب العالمية الثانية من أن الحياة كان شيئاً رمزياً ، أو أنه لم يغن عن  
المصير المحتوم .

فهذه الدانمرك والنرويج ، وهذه هولندا وبلجيكا ، دول أعلنت ورتبت نفسها  
وسياستها على أن تبقى محايدة ، بعيدة عن النضال المرير الذى كان على وشك أن يدور  
بين أقوى أم الأرض . . . ورغم هذا فقد اجتاحت هتلر الدانمرك والنرويج فى ربيع  
سنة ١٩٤٠ ، وعصف بهولندا وبلجيكا فى مايو من نفس العام . وقد وجد الروس  
أن الفرصة سانحة فاجتاحوا لتوانيا ولااتفيا واستونيا فى الوقت الذى كان هتلر قد أخضع  
فيه فرنسا . ثم تطلع الدب الروسى فى يونيو وأندز رومانيا المحايدة بإعادة بسارايا  
وغيرها ، تلك المناطق التى كانت قد سلخت من روسيا فى ١٩١٨ . وفى عام ١٩٤١  
اجتاحت هتلر يوغسلافيا المحايدة ، بينما احتل الروس بلغاريا المحايدة فى ١٩٤٤ : أى  
فى نهاية الحرب تقريباً . . .

\*\*\*

دروس بليغة لمن يتكلم بلغة الحياة . . . ولمن يسبح فى الحبال ، ويتمنى أن تكون  
مصر على الحياة . . . هذا هو ما يردده دعاة التحالف مع الغرب ، ومن يريدون  
ربط مصر فى مجلة الامبراطورية العتيقة .

ولسكننا نرد عليهم قائلين بأن سويسرا وأسبانيا والسويد وتركيا ، كانت على الحياة

وبقيت على الحياد ، ولم يفكر أحد طرفي الخصومة في العبث بحيادها وهكذا تجنبت هذه الدول ويلات حرب قاسية مريرة ، وخرجت كل منها قوية الجانب موفورة الكرامة . . . . !

حقا لقد دخلت تركيا الحرب في أواخر أيامها — شأنها شأن مصر — ولكن هذا كان بفرض الاشتراك في المؤتمرات العالمية التي تمخضت عن قرارات مؤتمر يالطا وميثاق الأطلنطي وغيرها . . . !

فهل نجحت هذه الدول في وقوفها على الحياد . . أم جاء الأمر مصادفة وخروجا عن المؤلف . . أم أن هذا جاء نتيجة بعدها عن ميادين التطاحن والنضال ؟ لا هذا . . ولا ذاك . . . فالسويد كانت ذات أهمية بالغة لألمانيا ، فهي تمكنها من سهولة الوصول إلى النرويج ، وبالتالي الإشراف على المحيط الإطلنطي ، وكذا تهديد جناح فلندا . . . ولو أن ألمانيا اجتاحت سويسرا ، لأمكنها بسهولة تطويق فرنسا من ناحية الشرق ، بعد أن تكون قواتها الرئيسية قد تحطت خط ماجينو من ناحية الغرب . . . !

ولو اجتاحت أسبانيا ووصلت إلى صحرة جبل طارق ، لأمكنها السيطرة على الملاحة في غرب البحر الأبيض المتوسط ، ولو أنها اجتاحت تركيا ، لأمكنها أن تهدد مركز بريطانيا في شرق البحر الأبيض المتوسط ، ولأمكنها الوصول إلى حقول بترول روسيا في القوقاز ، بل لوصلت إلى قناة السويس ، واستولت على الشرق الأوسط بأكمله . . . إذن فلماذا لم تفكر ألمانيا في اجتياح هذه الممالك ، وجميعها كانت ذات فائدة محققة في وصول ألمانيا لأغراضها ، ولماذا اجتاحت ألمانيا دولاً أخرى ، وعصفت بحيادها ، ولم تقم لأمرها وزناً . . ؟ إن في الإجابة على هذا السؤال إجابة ضمنية على قيمة الحياد ، وعن العوامل التي تساعد على البقاء على الحياد . . .

ولقد كانت سواحل النرويج ذات فوائد استراتيجية لألمانيا ، سواء في تشديد حرب الغواصات على بريطانيا أو في التقليل من قيمة الحصار البحري المفروض على ألمانيا ، علاوة على أنها تحمي جنب ألمانيا الشمالي ، وكانت النرويج أيضا غنية بمناطق الحديد الخام ، وفوق كل هذا فإن جيش النرويج كان ضعيفا وغير مدرب . . أما الدانمرك فقد كانت خطوة أولى لا بد منها لمهاجمة النرويج ، ولكن الذي شجع على إهمال حيادها كون طبيعة أرضها لا تعطى مواقع دفاعية مناسبة في وجه المهاجم ، علاوة على أن جيشها كان ضعيفا وغير مدرب . . وهولندا كانت ذات موقع جغرافي يهدد ألمانيا ، أو يتعبها على الأقل . وجنوب هولندا يعتبر أسهل وأنسب طريق يوصل إلى بلجيكا ، وبالتالي

إلى أضعف حدود فرنسا . وترك هولندا بدون السيطرة عليها ، قد يجعل الحلفاء يطمعون في تجميع قواتهم وجواسيسهم بها لمرقلة أعمال ألمانيا في فرنسا . . . ١١٠ وفوق كل هذا فقد كان الجيش الهولندي ضعيفا وغير مدرب . . .

أما بلجيكا فقد كان اجتياحها هو الطريق الوحيد الذى يمكن من تخطى « خط ماجينو » وتطويقه من الغرب ، مالم يطوق من الشرق عن طريق سويسرا . . . فاختارت ألمانيا اجتياح بلجيكا ، لأن طبيعة أرضها أسهل وأنسب للحرب الخاطفة من سويسرا ، علاوة على أنها تصبح قاعدة قريبة مناسبة للهجوم على الجزيرة البريطانية فيما بعد . . . ١١٠

أما يوغوسلافيا فقد كانت ضرورية لهتلر لتأمين جنبه الأيمن عندما يشرع في مهاجمة روسيا فيما بعد ، علاوة على أن جيشها كان يعانى نقصا خطيرا في المعدات الحربية الحديثة . .

لو نظرنا إلى كل هذا لوجدنا أن بلجيكا وهولندا كما يمكنهما أن يقفا في وجه هتلر ، فيما لو لم يفكرا في كلمة الحياد على أنها كل شيء . . . وكان يمكنهما أن يحافظا على حيادهما فيما لو وضعا خططهما وسياستهما مفترضين احتمال مهاجمتهما وعندئذ كان كل منهما سيقوى حدوده ودفاعاته ، وكان سيسمح للقوات المتحالفة بالنزول في أراضيها مبكرا لتعطيل الزحف الألماني ، وإن كان هذا لن ينجيه من الحراب الذى كان سيتعرض له لو أن المارك الفاصلة دارت في أراضيها . . .

أما روسيا فقد فكرت واحتلت ولايات البلطيق الثلاث ، حتى تكون « مخففا للصدمة » Shock Absorbet فيما لو حاول هتلر مهاجمة روسيا ( كما حدث فيما بعد ) علاوة على أن ذلك يعنى حرمان ألمانيا من هذه الولايات : أى من قاعدة مناسبة للهجوم على روسيا ، إذ أن احتلال ألمانيا لهذه الولايات يعطيها مواجهة كبيرة ، تمكنها من المناورة عند الهجوم على روسيا وبالأخص جنبها الأيمن . وكان احتلال روسيا لبلغاريا في أواخر الحرب خطوة لابد منها امتدادا لانتصاراتها على ألمانيا ، كما وأن هذا جاء كجزء من سياستها لما بعد الحرب ، إذ أن هذا يمكنها من فرض سيادتها ونفوذها ونشر دعايتها في وسط وجنوب أوروبا .

ولا شك أن روسيا قد وجدت هذه الدول على درجة من الضعف العسكرى ، سهلت لها ومكنتها من سهولة اجتياح حيادها . . .

ولا بد لنا من أن نلاحظ تشابها في كل فريسة . . . فقد كانت كل « فريسة ذات حياد » معرضة للغزو ، نظرا لطبيعة موقعها ، وأهميتها الاستراتيجية البالغة في نجاح

واستمرار الدولة الغازية في تنفيذ خططها العسكرية ، وفوق كل هذا وذاك . . نظراً لضعفها وعدم تدريب جيشها . . بينما كانت الدول التي أمكنها أن تحافظ على حيادها ، أقوى نسبياً من الدول التي اكتسحت ، علاوة على أن طبيعتها أراضيها كانت محصنة طبيعياً بالجبال التي تحيط بها أو الأنهار والبحار التي تفصلها ، علاوة على أنها لم تكن توصل توصيلاً مباشراً إلى غرض هتلر ، وإن كان بعضها كذلك مثل سويسراً ، إلا أن بلجيكا كانت تؤدي نفس الغرض ولذلك أغنت عنها .

\*\*\*

نستنتج من ذلك أن الحياد أمر ممكن بشرط أن تكون الدولة قادرة على مقاومة المعتدى منتفعة بمواقعها الطبيعية والصناعية بطريقة تجعل الفائدة التي قد يحصل عليها المعتدى لا توازي الخسائر التي سيتكبدها ؛ خصوصاً إذا كان هنالك احتمال تدخل دولة حليفة لرد العدوان وتأييد المعتدى عليه .

عندئذ سيفكر المعتدى وسيتردد كثيراً قبل أن يعتدى . ولو أضفنا إلى هذا أن الدول التي حافظت على حيادها ولم يعتد عليها ، كانت بعيدة ومتفرقة عن بعضها ، لا تضح لنا قيمة حيادها هذا ، فيما لو كانت قريبة عن بعضها لدرجة تسمح بتبادل المساعدة وتنسيق أعمال المقاومة .

ولكن بقي هنالك أمر يستحق التقدير والتفكير . . . فإذا كان الحياد أمراً ممكناً ، فهل هو أمر حكيم . . لاشك أن الجواب عند أول وهلة سيكون « نعم » خصوصاً إذا قارنا بين حالة الدول التي تبقى على الحياد ، وحالة الدول التي تشترك في الحرب حتى ولو كانت هذه الدول في الجانب المنتصر . . . ولكن لا يجب أن ننسى أن المنتصر قد يبغي على المحايدين وتأخذ نشوة النصر ، ما لم يكن هذا المنتصر معقولاً ، أو صاحب فكرة متزنة ، أو أنهكته الحرب لدرجة لا تسمح له باعتداء جديد . . . ولكن خطورة ذلك هي مجرد احتمال لا يقارن بما يلقاه من يشترك في الحرب سواء هزم أو كان من المنتصرين . . . لأنه إنما يضع مستقبله في كف الغيب ، معتمداً على قوة كبيرة تسنده وتحالفه وتمده بالمساعدة والتحرير ؛ ولا شك أن ذلك مجازفة تصل إلى حد الغفلة . . . فإن الاعتماد على مساعدة خارجية في حالة الاعتداء أمر غير محقق لا يجدر اهتماماً وحماساً كبيراً من الدول الكبرى ما لم يكن لها في الأمر فائدة واضحة عاجلة .

\*\*\*

وإني سأترك هذا البحث الفرعي عن حكمة الحياد لتبحثه كل دولة بما يتفق ومصالحها



وحالتها العسكرية ، ولكننى أود أن أوضح وأدلل على ما للحيايد من فوائد ، مستشهداً على ذلك بدخول أمريكا الحربين الأخيرتين فى النصف الثانى من كل حرب ، وفى الجانب المنتصر دائماً ... أى بعد أن يكون المعتدى قد أنهكته الحرب واستنزفت موارده ... أود أن أقول بأن أمريكا تخرج من الحرب بدون أن تعاني ما تعانيه باقى الدول ، سواء المهزومة أو المنتصرة ، وهى بذلك إنما تلعب نفس الدور الذى كانت تلعبه إنجلترا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر .

وهذا راجع إلى ادخار المجهود والقوى ، فتخرج الدولة قوية لدرجة تمكنها من إملاء إرادتها على باقى الدول التى خرجت فى حالة إجهاد وضعف شديد ، بعد ما لقيته طوال فترة الحرب من مصائب ونكبات وتدمير ...

وهكذا دخلت أمريكا الحرب العالمية الأولى فى نصفها الثانى فخرجت منها دولة قوية من الدرجة الأولى ، ودخلت الحرب العالمية الثانية فى نصفها الثانى فخرجت منها إحدى أقوى دولتين فى العالم ... بينما فقدت إنجلترا هذا المكان .. وإنى أعتقد اعتقاداً جازماً بأنه لو بقيت أمريكا على الحياد طوال الحرب العالمية الثانية لأصبحت أقوى دولة على الإطلاق ، بعد أن تكون كلا من روسيا وألمانيا قد أجهدتا غاية الإجهاد

\*\*\*

ومصر دولة لا يعنىها من أمم الكتلتين اللتين تتزعمان العالم شئ ، وليس لها فى هذا الصراع ناقة ولا جمل ، وقد ذاقنا الأمرين على يد إنجلترا ، كما أن المبدأ الشيوعى لا يتفق ونظام الدولة أو الدين الإسلامى ...

ومصر دولة زراعية ، وإن كانت غير ذات كفاية ذاتية فى هذا الميدان ، كما أنها دولة متأخرة صناعياً ... ولو أنها اشتركت فى الحرب القادمة ، لأمكن تدمير كباريها ، ونسف مواردها القوة فيها ، وشل مواصلاتها ، ودك مصانعها ، وإتلاف منشآتها الصناعية . وكل هذا سيحطم الناحية الاقتصادية للدولة والأمر الذى لا يمكن لمصر أن تعيد تعميره وإصلاحه بسهولة ، لأنها دولة متأخرة صناعياً كما قدمت .

ومصر ليست فى طليعة الدول العسكرية ، ولو أنها ارتبطت بإحدى الكتلتين ، لما كان لها واجب رئيسى ، وسيقتصر واجبها على القيام بواجبات ثانوية قد لا تشرف ، وقد لا تساوى ما تتعرض له من ويلات وتخريب .

ومصر دولة لا أطماع خارجية لها ، وكل أمنائها تنحصر فى استقلالها كدولة نيلية موحدة ، وهذه حقوق ثابتة تطالب بها حليفها إنجلترا فتأبى إنجلترا عليها ذلك ...

إذن فلماذا ننبذ الحياد الكريم ، ولماذا نرتدى في عجلة الامبراطورية التي أذاقتنا  
الأميرين ، والتي تكشف نواياها الاستعمارية ، وتصرفاتها الأنانية ، ومرامها الحيثية ... ؟  
وبما أن منطق الحوادث يشير إلى إمكان البقاء على الحياد ، إذا كانت مصر على  
استعداد لمقاومة المعتدى مقاومة صادقة ، وبما أن حدود مصر الطبيعية تساعد  
كثيراً على هذه المقاومة ، وبما أن العقبة التي وقفت في طريق الحصول على الاستقلال  
الكامل في معاهدة ١٩٣٦ والتي تسببت في فشل المفاوضات السابقة ، هي ما يدعيه  
الجانب البريطاني من أن الجيش المصري بوضعه الراهن ، لا يمكنه أن يتحمل وحده  
عبء الدفاع عن منطقة قناة السويس . إذن فالطريق إلى الحياد واضح المعالم بارز  
الجنبات ... هذا الطريق يحتاج إلى شيء واحد .. يحتاج إلى جيش قوى .. لطرد الإنجليز  
من منطقة القناة ، حتى تتوفر أسس الحياد التام ، بعدم وجود قوات معادية ، أو لتكبيد  
المعتدى على الحياد خسارة شديدة ، وتعطيلاً خطيراً في خططه ، لوفكر في أن يعصف  
بمبادنا ، أو يعتدى على حرمتنا . ولو كملت استعداداتنا هذه لما فكرت أى كتلة في  
الاعتداء علينا ، ولأصبحنا منطقة حياد حيوية للطرفين ، كما كانت سويسرا في الحربين  
الماضيتين ...

وقد سبق أن قدمنا أن الدول التي بقيت على الحياد في الحرب العالمية الثانية كانت  
متفرقة ومتباعدة عن بعضها وأنه لو كانت متصلة وقريبة من بعضها ، لكانت أكثر قدرة  
على فرض حيادها وصيانتها . لهذا فإن الدول العربية - وجميعها تطابق مصر في ظروفها -  
يمكنها لو تكتلت مع بعضها وأعلنت حيادها في النضال القادم ، واستعدت لذلك بثقوية  
جيوشها بهمة وإخلاص ، وصدق واهتمام ، لأنها أن تفرض موقفها على العالم ، بحيث  
يصبح في العالم ، لا كتلة شرقية وكتلة غربية فحسب . بل سيكون هنالك كتلة عربية  
محايدة ، وكتلة أسيوية محايدة وغيرها . وهكذا نرى أن حياد مصر أمر ممكن ... بل  
أمر مفيد ... بل إنه الطريق الوحيد لتفادي الويلات والنكبات والتخريب . ولكن  
هذا الحياد يحتاج لجيش قوى لصيانتها ... وهذا الجيش القوي يحتاج إلى ميزانية ضخمة  
واعتمادات مالية كبيرة ، ويحتاج إلى أفراد ذوي عقيدة وروح ، وعلى صفات أخلاقية  
عالية ؛ ولا يمكن الحصول على مثل هذه الأخلاق ، دون رفع المستوى الثقافي ، ونشر  
الدين لتهديب الأخلاق .

ولكن ببق هنالك أمر بالغ الأهمية ، ألا وهو احتمال نشوب الحرب في وقت قريب  
وهذا أمر تتركه لحكمة من يقررون سياسة البلد ... فإن أرادوا .. فإنه يمكنهم ،

بسرعة تقوية الجيش وإمداده ، والعمل على تكتل الدول العربية ، بل الشرق الأوسط كله في كتلة حياد ، على أن يتم ذلك على وجه السرعة لمواجهة احتمال نشوب الحرب في الصيف القادم أو ما يليه ... وإن أرادوا فإنه يمكنهم نبذ الحياد ، فعندئذ إما يختارون مستقبلا مجهولا مظلمًا ، لو مددت يدك فيه لم تكدر تراها ... مستقبلا كله خراب ودمار وفناء ... مستقبلا كله أهوال ونكبات وأتقاض .. سواء كانوا في جانب من كتبت عليه الهزيمة بأهوالها .. أو في جانب من كتب له النصر المظلم بتبعاته ...

والعاقل من اتعظ بغيره ...



شكَّ الأصمعي في لفظ استخذي ( خضع ) وأحب أن يستثبت : أهى مهموزة أم غير مهموزة ، قال : فقلت لأعرابي : أتقول استخذيت أم استخذأت ؟ قال : لا أقولها ! فقلت : ولم ؟ قال : لأن العرب لا تستخذي ( لا تخضع ! )

« الكامل »

... رحم الله ذلك الأعرابي لقد أبي أن يقبل الاستخذاء « كلمة » فكيف به لو رأى قومه الآن وقد قبلوه « حقيقة » ألا ما أبعد الفرق بين الماضي والحاضر ، وما أحوجنا إلى تلك الأنفة من جديد .

# سجّات فكر

للأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام

سفير مصر بالبلاكان

## بقطة البدوى

البدوى لا تحد نظره ولا سائر حواسه حدود الأبنية وسدود الحضارة ؛ فهو ينظر إلى الآفاق البعيدة ، ويرى السماء ليلا ونهارا ، وهو يعيش فى حماية نفسه يخاف العدو ، واللص والوحش ، ويحترز من ضلال الطريق والهلاك جوعاً أو ظمأ ؛ فهو منتبه الحواس حاد الفراسة كثير الارتباب .

كنت فى سفر بالحجاز ، ومعنا دليل بدوى . فرأينا ثلاثة بعران فقال هذه ضالة . وسرنا ونسديناها حق لقينا رجلا على الطريق فوقف الدليل السيارة وسأل : أتلك بعرانك ؟ قال نعم . ثم رأينا صقراً محلقاً فقال هذا صقر أفلت من الأمير . قلنا كيف عرفت ؟ قال أراه يقرب ولا يفرع من السيارات . وكنا نسير بموضع كثير الأشجار فأشار إلى سرحة قائلاً هذه تسمى السرحة الغزلانية ، لأن الغزلان تأوى إليها . فعجبنا كيف ميز سرحة من بين سرح كثير وشجر متشابه .

ومن يسائر البداوة أو يعاشرهم يجد ما هو أبعد من هذا وأغرب . فليس بعيداً ما نقرأ عن فراسة الأعراب ، ودلاتهم ، وتمييزهم ما يتشابه من شجر أو جبال أو طرق . وقد عرفت دليلاً من جهينة يعرف الطريق ليلا ونهارا ، ويهذى السائق إن حاد فى الصحراء قليلاً نحو اليمين أو الشمال . والذي نراه ونسمع به الآن من فراسة القافة واستدلّاهم ، يصدق ما قرأناه وحسبناه خرافة مما روى فى كتب الأدب العربى . إننا نستطيع أن نحكم الحاضر فى كثير من الأمور الماضية ، والقياس صحيح أكثر الأحيان .

\*\*\*

## مقاصدنا الثلاثة

العقل القويم ؛ والخلق الكريم ؛ والجسم السليم .  
من لى بجيل لم يضعف أجسامه الترف ، ولم يوهنها الكسل ، ولم ينهكها الرض .



بل صحت أجسامه بالخشونة والعمل ، والقصد في المطاعم والمشارب وسائر اللذات ،  
والأخذ بأسباب الصحة كل حين .

ومن لى بهذا الجليل الصحيح يؤتى نصيباً من العلم النافع يستضيء به العقل ،  
ويتهدى به سبل المعاش ، يبغي العلم لمعرفة وللضرب في هذه الأرض ، لا يبتغى شهادة  
ولا منصباً ، ولا يحاول أن يجتاز الامتحان جاهلاً ، ولا يرضى أن ينال شهادة مزورة .  
ومن لى بهذا الجليل الصحيح العالم عملاً قلبه إيمان بالله ، فيرفعه عن كل دنية ،  
ويسمو به إلى المقاصد العلية ، وعملاً نفسه المروءة والهمة ، فيتنزّه عن سفساف الأمور  
ويطمح إلى جلائها ، ويمسكه الإنصاف فلا يؤذى أحداً ولا يضر أحداً ، يشهد بالحق  
على نفسه ويقربه لخصمه ، وتستقر في قلبه الرحمة فهو مشفق على الضعفاء ، برّ بالفقراء .  
ثم يزينه الأدب يوقر به والديه ويعظم من هم أكبر سناً من قومه كأنهم آباء له أو إخوة  
كبار ، ثم يحمله الحياء فهو عف اللسان واليد .

من لى بواحد من هؤلاء في كل جماعة ؛ إن الذي وصفت في الناس قليل ولكنه  
ليس بمستحيل . ليس مستحيلاً أن توضع الخطط الصالحة للتربية القويمة لتنشئ هذا  
الجيل ، جيلاً صحت أبدانه وعقوله وأخلاقه .

### وصية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أوصاني ربي بتسيع : الإخلاص في السر والعلانية ، والعدل في الغضب والرضى ،  
والقصد في الفقر والغنى ، وأن أعفو عن ظلمي ، وأصل من قطعني ، وأعطى من  
حرمني ، وأن يكون نطقي ذكراً ، وصمتي فكرياً ، ونظري عبرة .

« الكامل »

# التفاوت في الأرزاق

للاستاذ الدكتور محمد صالح « رحمه الله »

الوكيل السابق لجامعة القاهرة

[ هذا المقال هو آخر ما كتبه الأستاذ الفاضل رحمه الله ، وقد تأخر نشره ، فتحدث الأستاذ إلى رئيس التحرير قبل أن ياتي ربه بأيام مذكراً إياه بالمقال ، وقال في حديثه إنه أراد أن يسوق هذا البحث كتفسير علمي لقول الله عز وجل : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً » ، وهو ذا البحث تقرأه بعد أن غاب كاتبه ، جزاه الله خيراً وأكرم مثواه ] .

« التحرير »

أهمل الاقتصاديون البحث في أسباب تفاوت الأرزاق مع ما لها من الأهمية القصوى حق وصفها « ريكاردو » بأنها « الموضوع الرئيسي لعلم الاقتصاد السياسي » .

ولم يجمع الاقتصاديون على أسباب التفاوت .. فيرى بعضهم أن تفاوت الطبقات الذي يرتكز على تفاوت الدخل متصل اتصالاً وثيقاً بالنظام الطبيعي الذي يعيش الناس على مقتضاه ، وأنه يقع من الصرح الاقتصادي موقع حجر الزاوية ، فهو جزء لا يتجزأ ، وأنه في غنى عن التفسير أو التبرير ..

ويرى فريق آخر بأن تفاوت الدخل يتطابق مع تفاوت الكفايات . ومعنى هذا أن النقود هي مقياس الفضل . وأن تفاوت الدخل مردّه إلى توافر تلك الصفات التي تسبب النجاح في الأعمال ، وهذا الرأي يشتمل على قسط من الحقيقة ، لأننا إذا أغفلنا جانباً .. عامل الحظ .. فالنجاح في الأعمال يكون بقدر ما يتوافر في الفرد من كفاية شخصية ...

لكن معظم أحوال التفاوت في الدخل ترجع إلى أن تسابق الناس لإحراز الدخل لا يقع في ظروف متماثلة ، وحتى إذا توافقت هذه الظروف فإن كثيراً من الأحداث الهامة تقع في غضون حياة الناس فتعوق سعيهم للحصول على دخل .

ومن الآراء الشائعة ما يقول به البعض من أن معظم أحوال التفاوت أمر محتوم لا مفر منه ، وأنه إذا وُزعت الثروة بالتساوي بين الناس فلا تنقضي فترة قصيرة من الزمن حتى تظهر من جديد أعراض التفاوت ..

ومعنى هذا أنه إذا انجلت لجأة حالة التفاوت ، مع بقاء الأسباب التي أفضت إليه

في الماضي ، فلن تتوانى حالة التفاوت من أن تبرز من جديد كالسفينه المنقوبة التي ينزع إليها الماء لا تلبث أن يجوس الماء خلالها ما دام الثقب لم يرأب ، والصدع لم يشعب . . . وهذا الرأي لا يلقى ضوءاً جديداً يوضح أسباب هذا الخلل أو يبين كيفية إصلاحه . . . ومن الخطأ أن نرجع التفاوت إلى ما ركب في طبيعة الإنسان من حب النفس ( أى السعى لتحصيل ما يكفل للإنسان ولأفراد أسرته المنافع الاقتصادية ) ، وأن التفاوت يزول بزوال باعث المصلحة الشخصية ، واتفاق الناس على أن يتقاسموا بالتساوى نتائج عملهم . . . وقد قال بهذا الرأي فريق من الكتاب السابحين في الخيال ، لكن الحق أن الناس لو نبذوا باعث المصلحة الشخصية لكان مصيرهم في القريب العاجل إلى الفناء . ولا يجدى أيضاً نسبة التفاوت إلى النظام الرأسمالى الحاضر ؛ فالمعروف أن التفاوت كان معروفاً قبل النظام الحاضر ، وهو معروف في البلدان التي قلبت هذا النظام واستبدلت به نظاماً آخر مثل « روسيا » حيث يستولى ١٠ ٪ من السكان على ٥٠ ٪ من الدخل القومى . . . كذلك لا فائدة من القول بأن حرية التعاقد كانت في غابر الأزمان سبباً لهبوط الأجور وساعدت على زيادة التفاوت . والحقيقة أن التفاوت في الدخل مرده إلى ملكة الابتكار والإقدام والمناورة وما إليها من الفضائل والمواهب التي برزت الأبطال الفاتحين ، وسخرت الحظوظ وألزمها الطاعة لمشيئة الإنسان . . . ففي عهد الإقطاعيات وفي كل المجتمعات المنظمة على أساس الطبقات بقي التفاوت قائماً بحكم القاتون ، وفي الوقت الحاضر ، وفي مجتمعاتنا التي تستند إلى نظام الحرية والمنافسة تتجه بعض المزايا نحو البقاء من طريق البيئة والفرصة والميراث . ويمكن إرجاع أسباب التفاوت إلى :

(١) نفقات التعليم (٢) البيئة (٣) فروق الكفايات الطبيعية (٤) الميراث :

١ — نفقات التعليم : تنفض نفقات التعليم إلى زيادة الجزاء . . . ولا مرأى في ذلك إذا تولى الآباء الإنفاق على أبنائهم حتى ولو كان التعليم مجانياً ، لأن هذا لا يعنى من تحمل الآباء بعض الأعباء كالمأكل والملبس وما إليها وليس في مقدور الطبقات الفقيرة ، الاستمرار مدة طويلة على تحمل هذا العبء ، لأن ابن العامل إذا وصل إلى سن المراهقة انتزعه والده من الدراسة ودفعه إلى ميدان العمل . . . ولما يستطيع العامل أن يمكن ابنه من متابعة دراسته إلا إذا تلقى عوناً من معاهد الإحسان ، أو إذا كان الولد على جانب عظيم من الكفاية . . .

وبالجملة لا يستطيع الفقير في أغلب الأحوال أن يصل بابنه إلى أقصى درجة من درجات

التعليم . وهذا هو سبب اختلاف الجزاء وما يترتب عليه ، من خلق طبقات اجتماعية نعتد عليه .. واستمرار بقاء هذه الطبقات وحصول الشخص على قسط كبير من التعليم يدفعه إلى أن يتوافر هذا التعليم لابنه ، وعدم حصول العامل أو الفقير على قسط من التعليم هو في الواقع عقبة كأداء تمنع ابنه من الحصول عليه .

لذلك تؤثر نفقات التعليم في الأجور من وجهين : —

أولها : أنها ترفع الجزاء الذي يتلقاه الشخص إلى المستوى الذي يجعل يحمل هذه النفقات مجدياً .

ثانيها : أنها تقيد المنافسة فتمنع الجماهير من الوصول إلى المراكز المرموقة التي لولا التعليم لاندفعوا في طلبها .

٢ — البيئة : وهي ثاني موانع حرية التنقل ولا يمكن فصلها من التعليم والتدريب فهي — إلى عامل نفقات التعليم — تضيف مانعاً جديداً يمنع المنافسين المحتملين من السعي إلى غشيان المراكز الممتازة . فكل للإبسات الاجتماعية المستمدة من التعليم والحياة العائلية ، وقوى المثل والتقاليد تحمل الشاب على السير في الطريق الذي سلكه آباؤه من قبل .

وقد يعمل النابه الموهوب على الخروج من بيئته للوصول إلى أعلى الدرجات ، لكن جمهرة الفقراء تقبل أو ترضى بالحالة التي اعتادتها .

٣ — فروق الكفايات الطبيعية : كان الاعتقاد السائد في القرن الثامن عشر أن الناس متساوون في المواهب الأخلاقية والعقلية ، ويقول ( آدم سميث ) : « إن الفرق بين الفيلسوف والحمال مرده إلى العادة والعرف والتعليم » . وكان ( روسو ) يرى أنه يستطيع بالتربية الحسنة أن يشكل حسب مشيئته مواهب الناس ، وكان ( أوين ) يرى أن الإنسان ليس بطبيعته خيراً ولا شريراً ؛ ولكنه يتكيف بالبيئة التي يعيش فيها وأنه إذا أصلحت البيئة الاجتماعية صار الناس عمالاً مجدين متحلين بالفضيلة .

وفي القرن التاسع عشر أثبت العلم بزعامه ( داروين ) فساد هذه النظرية لأنه إذا كان الإنسان وليد البيئة الاجتماعية فكيف يستطيع أن يغيرها ، وأثبت أن الناس تختلف مواهبهم بعامل الوراثة . ومعنى هذا أن المراكز الحسنة التي تتمتع بها الطبقات الممتازة مردّها جزئياً إلى الصفات الطبيعية التي تنتقل من جيل إلى آخر .

واختلاف الجزاء وبالتالي تفاوت الطبقات الاجتماعية مرده إلى المواهب الطبيعية ؛ ففي كل طبقة اجتماعية ، بل في كل مهنة يتمتع بعض الأفراد بمواهب استثنائية نادرة



يترتب عليها حصولهم على جزاء يزيد على الجزاء المألوف . . فهناك محامون وأطباء وسفراء ومخترعون ورجال أعمال وهبتهم الطبيعة صفات نادرة ، وقد يساعدهم التعليم وتعود نجاحهم البيئة ، لكن القول الفصل للكفاية الطبيعية أو الغريزية التي لا فضل لهم فيها . . وقد نستطيع أن نتعقب الوراثة ، لكن مقدار الكفاية أو الكفايات التي تنتقل بالوراثة من الآباء إلى الأبناء لا تخضع لقانون معروف .

والأمر الذي لا شك فيه هو اختلاف الكفاية بين الناس — سواء أكان هذا بين العقبين أو الأذكىاء — ولو أن أسباب هذا الاختلاف لا يمكن استقصاؤها . يترتب على هذا أن بعض الأفراد يكسبون أكثر من غيرهم ، وأن تفاوت الجزاء في نظام المنافسة أمر لا مفر منه .

ومن الأمور العسيرة معرفة ما إذا كانت توجد بين الطبقات الاجتماعية فروق عامة في الصفات العقلية والأخلاقية أو خاصة . . هل يتوافر في المالكين الميسورين بالجملة صفات معدومة في الطبقات الفقيرة ؟

إذا استقصينا البحث منذ الوقت الذي ظهرت فيه الفروق الاجتماعية نرى أن من شقّ طريقه في وسط جمهرة الناس ووصل إلى أعلى المناصب مرده إلى استجماعه لفضائل ومواهب طبيعية . . فقد كان رؤساء القبائل يرقون إلى الحكم بسبب شجاعتهم ودهائهم ، وكان الأشراف والأمراء في عهد الإقطاعيات القواد الطبيعية ، وكان التجار الذين تكوّن منهم الطبقة الوسطى في المدن ذوي دهاء وكفاية . . وأقيسة الوراثة تفترض أن صفات هؤلاء الأجداد انتقلت إلى أبنائهم وأحفادهم . . وأن الطبقات العليا في الزمن الحاضر تتكوّن من أشراف عصامين ، وإذا كانت الوراثة ليست مطردة في مظاهرها الفردية فإنها مطردة ومستمرة في مظاهرها العامة : أي بالنسبة لعدد كبير من الناس . .

فإذا قارنت ألف طفل من آباء نابهين بألف طفل من آباء خاملين وجدت الفريق الأول هو المتفوّق ، ولو أن عبقرياً قد ينشأ من الفريق الثاني ، فهل يجوز لنا أن نستنتج من هذا أن الفروق العامة بين الطبقات الاجتماعية تستند إلى فروق في مواهبهم العقلية والحلقية ؟

إن توزيع النجاح في الحياة يظهر كثرة عدد النابهين في الطبقات الرفيعة ، وإحصاءات عظماء الرجال تبين أن الأرستقراطية والطبقات المتوسطة والمقيمين في المدن قدمت معظم الكتاب والسياسيين والقواد وزعماء الصناعة بالنسبة لعددهم . . وحتى العبقرية

ظهرت دائماً بينهم .. وهذا يؤكد نظرية أن المواهب الطبيعية تختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية .

وقد تنهض هذه الإحصائيات دليلاً على سلطان الفرصة والبيئة . فكل من وهبه الله كفاية عقلية واتصل بالأشخاص المتوسطين في الطبقة الراقية لابد أن يلاحظ ضيق عقولهم وغبائهم ورضائهم واغتيابهم ونذالتهم . ويتردد في الاعتقاد بأنهم وذريتهم أحرزوا النجاح بسبب مواهبهم الحارقة للعادة .. ولا يعدو أن يلح أن سبب نجاحهم يرجع القسط الكبير فيه على الأقل إلى التعليم والبداية الحسنة ، التي تخلق البيئة ، وإذا ارتقى عدد قليل من الطبقة الدنيا ، فسبب ذلك تعذر وصول الكثير منهم من ذوى الكفايات إلى المراتب العالية ، ولا ينجو من شباك الوسط المميت إلا من كان ذا مواهب نادرة . ويعتقد بعض المفكرين أن هناك معيناً للكفايات في الطبقات الدنيا لا يقل شأناً عن المعين الموجود في الطبقات الموسرة . ولكنه يبقى ساكناً ! . فالفروق بين الأفراد تظهر بوضوح وجلال . أما الفروق بين الجماعات فإنه لم يبق الدليل على صحتها ، أو على وجودها .

يضاف إلى ما تقدم أن الطبقة الممتازة لا تنقل إلى أعقابها دائماً الصفات التي أحرزت بها النجاح . بل إن الأبناء تستولى عليهم السآمة والضعف بسبب استمرار المزايا التي تلقوها عن آبائهم .. ولا سبيل إلى حفظ حيوية الطبقات العليا ومنعها من الانحطاط إلا إذا خالطت الطبقات الفقيرة بالمصاهرة .. وهذه العبرة مستفادة من تاريخ العائلات المالكة والبيوتات النبيلة .. وتشاهد هذه الظاهرة أيضاً في الطبقات المتوسطة .. وذلك لأنه إذا توافرت سبل الحياة وسهل الكسب وضعف الكفاح للوصول إلى أعلى المناصب ضعفت الحيوية للبقاء .. ويستطيع المتوسط الكفاية أن يحتفظ بمكانته .. ولا يحرز النجاح المستمر إلا من خرج عن حد المألوف في كفايته . وتساعد البداية الحسنة والعون المستمر الأفراد ذوى الكفايات المتوسطة على البقاء في عداد الطبقة الممتازة وتمكنهم من الاحتفاظ بمراكزهم ومناصبهم ..

وهذا الذي نقرره من العسير إثباته ، ولم يحل بعد ..

وقد يظل هكذا مدة طويلة من الزمن ولا يمكن اللجوء إلى الطريقة التجريبية ، إذ لا يمكن وضع ألف طفل من أبناء الطبقة العليا وألف آخر من أبناء الطبقة الدنيا ، ووضع الألفين في ظروف واحدة من حيث التعليم والبيئة وانتظار مقدار نجاحهم في الحياة ..

وكل ما نستطيع عمله هو الالتجاء إلى طريقة الملاحظة . وهذه الطريقة يقلل من قيمتها قلة المشاهدات الممكنة وصعوبة المعلومات وتعقدها والآراء المتأصلة في الأشخاص الذين يقومون بالملاحظة والمشاهدة .

ومع أن شواهد علم الحياة تقوّى الرأى القائل بأن الوراثة هى كل شئ ، إلا أن الحقائق البسيطة التى تستخلص من مشاهداتنا اليومية تدل على أن الفرصة والبيئة لهما أهمية كبرى . .

فبالنسبة للأفراد ذوى الكفايات الممتارة تبين لنا بوضوح مزايا التعليم والتدريب إذا لقنوها منذ نعومة أظفارهم ، وتلقوا العون فى بداية حياتهم العملية . .  
وبالنسبة للأفراد ذوى الكفايات الحارقة للعادة يقل اعتمادهم على العون العارض الأجنبي عنهم . فمشاهير القواد يولدون ولا يصنعون . . أما من عداهم من الضباط فيمكن صنعهم بالتعليم . .

وقد يوجد فى عداد الجنود من يكون مستعداً لأن يكون ضابطاً متوسطاً ولكنهم يظلون فى الصفوف لعدم وجود فرص تمكنهم من إبراز صفاتهم الجيدة .  
وسواء أكان تركيب الطبقات الاجتماعية الحالية مردّه إلى أسباب طبيعية أو كان مردّه إلى الفرصة والتعليم ، فإن تنقل العامل من طبقة إلى طبقة ليس حراً : أى أن من يولد أو يوضع فى طبقة معينة يبقى عادة فى هذه الطبقة ولا ينافس من كان فى طبقة أخرى . وهذه المنافسة عسيرة بالنسبة لمعظم الناس ومستحيلة بالنسبة للكثير منهم ؛ أى انتقالهم من طبقة وجدوا فيها إلى طبقة أخرى ممتازة عنها .

( للبحث بقية )

قيمة كل أمرىء ما يُحسن .

« على بن أبى طالب »

# النظام الرأسمالي الجديد

للأستاذ السيد أبي الأعلى المودودي

نقلها إلى العربية السيد محمد عاصم الحداد

( ٥ )

٦ - وأدهى من كل ذلك أنهم أباحوا للأفراد وجعلوا من حقهم المشروع أن يكتنوا المال ويعطوه الناس بالربا . ومما لاشك فيه أن الربا مازال منذ قديم الزمان موجوداً في أكثر مجتمعات العالم باعتباره سيئة بغية احتملتها قوانين العالم على كره منها في أكثر الأحيان .

ولكن الذي امتاز به مفكروا طبقة البورجوازيين في الجاهلية الغربية الجديدة بعد الجاهلية العربية القديمة أنهم جعلوا الربا هو الصورة المشروعة الوحيدة للتجارة ، والبناء الصحيح الوحيد للنظام المالي كله ، ووضعوا قوانين البلاد على طرق جعلتها سنداً وعوناً لمصلحة الرأبي دون مصلحة الدين - وسنفصل القول في هذا الخطأ العظيم ونتائج الخيمة في ما يأتي من البيان إن شاء الله - فأصبح أرفه الناس وأسعدهم في المجتمع من جمع المال وكنزه بطريق من الطرق أو حيلة من الحيل . أما أصحاب المواهب الفكرية والقائمون بالعمل ووضعوا المشروعات التجارية ومنظموها ومسيرو التجارة في كل مرحلة من مراحلها والقائمون بجميع الخدمات المتعلقة بإنتاج الأدوات الاستهلاكية وتهيئتها ، أما هؤلاء فأصبحوا لا يقيم له وزن إزاء ذلك الفرد الذي يقرض ماله للتجارة ثم يجلس في بيته وادعاءً مطعشاً . فهؤلاء كلهم ليست لهم أرباح مضمونة ولا محدودة . وأما هذا الذي يعطى ماله بالربا فمنفعته معينة مضمونة . وهم كذلك لا يزالون يخافون ، على أموالهم أنواعاً من الخسارة ، وأما هو فلا يخشى شيئاً من ذلك فالربح له مضمون على كل حال . وهم مضطرون بطبيعة الحال إلى رعاية تجارتهم والتفكير في مصيرها وما يؤول إليه أمرها من ربح أو خسارة . وأما هو فليس يشغله شيء ولا يهمه إلا ربه : فإن وجد السوق نافقة قدم أمواله فيها إلى أن يظهر له أن فرص الربح على وشك الانتهاء . وإن وجد السوق كاسدة أمسك وشرع في استرداد ما يكون



قد استغل فيها من رأس ماله إلى أن تنتاب الدنيا كلها نوبة شديدة من الكساد والبوار . فكل قد يواجه الحسران والضيق والخطر في كل حال ، أما هو فغاية ما يصيبه في ماله إنما هو زيادة أو نقص في المنفعة . وهو لا يستعبد التجار والصناع وملاك الأراضي فقط ، بل يوقع الحكومات في أشراكه فتراها تذئب بأمواله الشوارع وسكك الحديد والترع وما إليها من المشاريع الأخرى في البلاد ، ولا تنفك تجبي الضرائب في سبيل الوفاء بدينها والربا المرتب عليه من كل واحد من أهالي البلاد أعواماً طويلة قد تنعدي إلى القرون . والعجيب أنه إن تعرضت الأمة لحرب من الحروب لا تبالي بمن قتل أو جرح أو نسكب في بيته أو أصيب في أبيه أو ابنه أو اللاتي أصبن في أزواجهن من النساء ، فإن هؤلاء جميعاً قد تتخلى عن الوفاء بحقوقهم خزانة الدولة بسهولة . أما الذين أقرضوا الدولة وهم من أبناء الأمة ، فلا تزال الخزانة تؤدي إليهم رباهم إلى مئات السنين ، وقد يضطر أولئك الذين كانوا قد ضحوا بنفوسهم في تلك الحرب إلى الاكتتاب مع غيرهم أداء لهذا الربا . هكذا يظلم هذا النظام المالي المبني على الربا العاملين الحقيقيين المنتجين للثروة من كل جهة ومن كل وجهة ظلماً شاملاً ، حيث قد فوض أزمة الاقتصاد الاجتماعي كله إلى طائفة من الممولين والرسماليين المستأثرين الذين لا تهمهم سعادة المجتمع ولا فلاحه ولا يسدون إليه نوعاً من الخدمة .

ولكنهم لما كان في أيديهم روح الشؤون الاقتصادية كلها وهو رأس المال . وقد أعطاهم القانون الحق في جمعه واكتنازه والمراباة عليه ، لم يكونوا المستغلين الرئيسيين للثروة الناشئة من جهود المجتمع العامة وحسب ، بل أصبحوا قادرين أيضاً على أن يستخدموا المجتمع كله في مصالحهم الشخصية ويلعبوا بمقادير الدول والشعوب .

٧ - إن المجتمع الجديد الذي تكون على أسس الرأسمالية الجديدة هذه خلواً من المواساة والتعاون والتراحم والتراؤف وما إليها من العواطف الشريفة الإنسانية ، وزاخر بأخس الصفات ، وتلاشى من هذا المجتمع حق الأخ على أخيه في التكامل والتساند . ولقد كان صاحب اختراع كل آلة جديدة يعطل مئات وألوفاً من العمال دفعة واحدة ، وتغلى الحكومة المصنع والأغنياء والممولين عن العناية بكفالة العاطلين أو العجزة بمن لم يعودوا قادرين على العمل . وليس هذا وحسب ، بل فإن هذا النظام الجديد قد أنشأ من الأثرة والعش في الأفراد أخلاقاً لم يعد بعدها من واجب أحد أن يقبل لأحد عثاراً . وإن كان هذا النظام قد فكر في شيء من العلاج للنكبات أو الأمراض وما إلى ذلك من حالات الطوارئ الأخرى ، فإنما فكر فيما يتفق وصالح أولئك الممولين . وأما

الذين لا كسب لهم أو إنما يكسبون قدر ما يسدون به رمق حياتهم ، فمن أين يجدون المعونة لأنفسهم فى النوازل والطوارئ ؟ . . . هذا سؤال لا يجب عليه النظام الرأسمالى الجديد إلا بأن يذهب الرجل من هؤلاء المنكوبين إلى أحد الممولين وليستقرض منه ما يمكن استقراضه على أسعار فاحشة من الربا بعد ما يقدم إليه ما يملكه من الملابس والأواني وحلى نسائه رهناً لهذا الدين . فإذا لم يستطع أن يؤدي إليه قرضه مع الربا الفحش ، استقرض منه مرة أخرى على أسعار باهظة من الربا ليؤدي ما كان عليه من أقفال الربا السابقة .

٨ — ومن الظاهر أنه إذا كان فى المجتمع مئات الألوف من العاطلين وملايين ممن لا يكسبون إلا قليلاً لا يمكنهم من شراء البضائع التى يرون الحوانيت والدكاكين مكتظة بها فى الأسواق على حاجتهم الشديدة إليها ، فليس للصناعة ولا للتجارة مجال للازدهار . ومن هنا نرى أنه وإن كان فى الدنيا من وسائل الارتفاق ما لا يأتى تحت العد والحصر ، وفيها ملايين من القادرين على العمل وهم فى حاجة إلى تلك الوسائل ، ومع ذلك فإن البضائع التى تنتجها مصانع الدنيا ، وإن كانت أقل مما هى قادرة على إنتاجه ، لا تزال الأسواق غاصة بها لأن الناس ليس عندهم من الأموال ما يمكنهم من شرائها ، وكذلك يتعطل ألوف العمال لأن البضائع التى تنتج فى المصانع زيادة على أنها محدودة فإنها لا تستهلك فى الأسواق فلا تسكاد تعود بمنفعة . فضلاً عن أن يتجرأ أحد على بذل المال فى ترقية الوسائل الأخرى .

هذه الصورة تستأصل استدلال الرجال البورجوازيين ، الذى جاءوا به تأييداً لدعواهم بأن سعى الأفراد لمنافعهم الشخصية فى الاقتصاد الحر لا يزال بنفسه يهيء الأسباب لرقى الوسائل والذرائع وزيادة الإنتاج ، فقد أثبتت التجارب هنا أنهم قد أنشأوا العقبات والعراقيل فى سبيل منفعتهم أنفسهم ، فضلاً عن الرقى والزيادة فى الإنتاج.

# شكوى في كل مكان

لسماحة الأستاذ عبد الله كنون

عالم طنجة

نعم شكوى في كل مكان من هذه الأفلام الخلية التي يقال إنها عربية ، والتي نشطت دور السينما بالمغرب في استيرادها وعرضها على الجمهور منذ أمد بعيد ، مستحوذة بذلك على آخر درهم بقي بيد هذا الشعب الفقير ، وعاملة في هدم حصون أخلاقه التي كانت تحجزه عن كثير من الآثام فإذا به يرتعى في أحضان الرذيلة منساقا إليها بالقذوة السيئة والدعوة الملحة تترامى إليه من الشرق الذي يحله ويقتدى بهدهاء . . .

أن أول ريبة في هذه الأفلام ، هي السهولة التي يجدها الموردون لها من مصر في هذه الظروف العسيرة ، لا يقف في طريقهم قانون رقابة ولا حاجز جمرك ، ولا صعوبة حصول على العملة النادرة مما يعانية تجار البضائع الأخرى غير هذه الأفلام . والكتب أول ما يخطر ببالنا حينما نسجل هذه الملاحظة ، فإن مصر كما لا يخفى ، هي عاصمة الفكر العربي والبلاد المنتجة للكتب والصحف العربية أكثر من غيرها ، ولسنا بحاجة إلى ذكر العراقيل التي توضع في سبيل توريد هذه البضاعة النافعة من مصر بحيث أصبحت الكتب المدرسية — فضلا عن غيرها — أندر من النادر في أسواق الكتب بالمغرب لما كانت هناك أسواق كتب ، وما ذاك إلا لأن هذه البضاعة فيها غذاء للعقل وتهذيب للأخلاق وتنمية للشعور ، بينما الأخرى فيها القضاء المبرم على ما تبقى في نفوس الناس من عفة وحياء وخلق كريم .

وريبة ثانية هي أن أكثر الموردين لهذه الأفلام شركات صهيونية أو تمت إلى الصهيونية بسبب ما ، وذلك ما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن القائمين على صنع هذه الأفلام في مصر إما صهيونيون بالذات وإما جماعات من الإباحيين لا يقلون عن الصهيونيين سعيا في الفساد وتشويها لسمعة العرب في جميع البلاد ، فهم بذلك يرضون رغبات الصهيونيين ويعملون الصهيونيين يعاونونهم ويشجعونهم ، ويتهاكون على هذه الأفلام يعرضونها في دور السينما ، التابع أكثرها لشركاتهم ، أو لأفراد منهم ، يهدفون بذلك إلى هدفين اثنين أحدهما مادي وهو إفقار الطبقة البسيطة من المغاربة نساء ورجالا

وأطعماً ، لأن الجميع ينهاتف على مشاهدة هذه الأفلام لما لها من الصبغة العربية ، والثاني معنوى وهو إفساد أخلاق الجمهور وإشاعة المييع والإباحية وجميع الشرور بين البرآة من النظارة .

وما نعتقد أن مصرياً صمياً يرضى عن هذه النتيجة أو يعمل لها من قريب أو بعيد ، فالمصرى وطنى يحب الخير لمصر ويغار على سمعتها والدين الإسلامى ، ومصر كانت حصن الدين وموئله ، وفيها الأزهر الشريف ، ودين دولتها الرسمى هو الإسلام ؛ فلا يصح أن يكون هذا الاستهتار ، وهذه الإباحية ، وهذا التقليد لأوربا فى الرذائل فقط ، هو طابع مصر والمصريين ، وهو المحور الذى تدور عليه الحياة الاجتماعية فى بلاد الكنانة ويمثل تمثيلاً سخيفاً فى هذه الأفلام .

عزيز علينا والله أن يأتينا هذا الشر من بلاد عزيزة علينا ، وشعبها وحكومتها معقد الرجاء ومناطق الأمل لبلاد العروبة كلها ؛ فلينظر المسئولون فى وادى النيل ورجال الدين وقادة الفكر فى علاج هذه الحالة الشنعاء ، وليضربوا على أيدي المتلاعبين بكرامة الدين والوطن ، وليجعلوا حداً لهذه الفضائح فقد طفع الكيل وطم السيل . ولقد كنا نشتكى من هذه المحلات الفاجرة التى تعرض مفاتن النساء ومحاسن الغوانى تثير بذلك الغرائز السفلى وتلقن دروس الغواية للغافلين والغفلات من الشباب ، وكان خطرهما قاصراً على قرائنها والراغبين فيها وهم على كل حال جماعات قلائل ، فإذا بهذه الأفلام تغزو الجمهور القارىء والأسمى والرجل والمرأة على السواء فألى أين نحن سائرون ؟

ولا يقال إننا بالغنا فى هذا الأمر ، وجاوزنا الحد فى استنكار الأثر السىء الذى تحدثه هذه الأفلام فى نفس الشعب ، فلسنا نحن وحدنا الناقمين الساخطين المتبرمين من هذه البضاعة المنكرة ، بل إن صيحات الاستنكار والاستهجان لها لترتفع فى كل حين ومن كل جهة ؛ فهذه جريدة « منبر الشعب » الطنجية قد نشرت فى عددها ١٤٨ مقالا فى الموضوع لـ كاتب جزائرى بعنوان : « قل الحق ولو على نفسك » تنبيه أخوى إلى الحكومة المصرية الشقيقة حول بعض الأشرطة السينمائية الخلية ، أجاد فيه ما شاء ، فذكر ما لمصر من فضل على العروبة ونهضة الإسلام وزعامتها للشرق ، ثم أنحى باللائمة على الحكومة المصرية التى تسمح برواج مثل تلك الأفلام التى لاتمت للدين ولا للأخلاق بسبب .

وهذه مجلة « الأديب » البيروتية تنقل فى عددها الأول من سنتها التاسعة مقالا فى الموضوع عن مجلة « السلوى » الأمريكية ، وقد عبر فيه كاتبه عن الحيرة المرة التى لقيها عرب المهجر لما شاهدوا هذه الأفلام وكانوا إليها فى شوق ، ومن جملة قوله

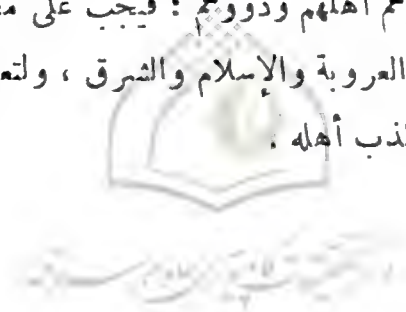


« فإذا كانت مصر لم تنقن حتى الآن فن إخراج السينما على الوجه الأكمل لأسباب فنية تحتاج إلى ممارسة طويلة وسليقة صناعية ، فما هو عذرنا في سخافة تلك المواضيع التي تبني عليها رواياتنا وتعرضها على الجماهير .

فمعظم هذه الروايات غربي الأوضاع لا تمت إلى مصر والبلدان العربية بصلة ، بل لا تغالي إذا قلنا أن أكثر هذه الروايات ممسوخ عن الحياة الأجنبية في الغرب . . . » إلى أن يقول :

« نحن لا نحتاج إلى السينما لتضرم فينا جذوة الحب والغرام . نحن شعب يريد أن يحيا وينفض عنه غبار الجمود ، ليسير في موكب الأمم الحية ، أما أن نظل ننوح ونبكي على الحب وثئن من جراح الغرام ونموت تدلها ونتخنت بأخلاقنا ، فهذا لا حاجة لنا به على الإطلاق ، بل يقعد بنا عن طلب المجد والتسامي ونحن في فجر تكويننا القومي .

ومن العجيب أن تكون هذه روح العرب وهم بجوار هولود ، ولكنهم بجوار الأزهر يبيعون حتى ينسكروهم أهلهم وذوهم ؛ فيجب على مصر وحكومتها الرشيدة أن تزيل هذا العار عنها وعن العروبة والإسلام والشرق ، ولتعلم أنها قدوة الجميع فلتسكن قدوة في الخير والرائد لا يكذب أهله .



« ما عاقبت من عصي الله فيك ، بمثل أن تطيع الله فيه . »

« عمر بن الخطاب »

## باب الكذب : نقد وتعريف

• الإخوان المسلمون في حرب فلسطين  
• نظرة إجمالية في تاريخ الدعوة الإسلامية  
في الهند والباكستان

١ — « الإخوان المسلمون في حرب فلسطين » : للأستاذ كامل إسماعيل الشريف .  
نشر مكتبة وهبه حسن وهبه سنة ١٩٥٣ م - ٢٦٥ ص من القطع المتوسط .

لم تمتحن « الدول » الإسلامية كما امتحنت في حرب فلسطين ، وليس كهذه الحرب ما يدعو إلى العظة والعبرة والإقرار بالأخطاء ، هذه الحرب التي صارت بها إسرائيل « المزعومة » دولة لها وجود فعلي وسياسي ! وذلك بسبب رؤساء هذه الدول الإسلامية وزعمائها الرسميين .

وهذه الحرب لا تزال بعض جوانبها غامضة تحتاج إلى كثير من الأضواء الكاشفة عنها ، وهذا الكتاب الذي نعرف به في هذه الكلمة « يكشف الكثير من أسرارها ، ويمزق الحجب عن أخطاء فاحشة أريد لها أن تظل مخبوءة » ، كما يقول كاتبه الفاضل في مقدمة طبعته الثانية ، وسبيله فيما قصد إليه أن يسرد الحقائق المؤلمة من غير « رتوش » كما يقول : « فإن معرفة الأخطاء في أول مراحل النجاح » ، لا يبالى في ذلك إرضاء حاكم أو قائد أو زعيم .

وهو ، وإن كان يقصد أول ما يقصد إلى أثر « الإخوان المسلمون » في هذه الحرب ، هؤلاء الإخوان المؤمنون الذين باعوا أنفسهم في سبيل الله وصدقوا ما عاهدوا الله عليه : « فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلاً » . نقول : إنه وإن كان يقصد إلى ذلك من كتابه ، فإنه أخرج لفلسطين نفسها وللحرب التي نحن بصدددها ، ووضع بين الجيل الجديد الحقائق المجردة المؤلمة كما شهدتها بنفسه . وذلك ، لعل هذا الجيل « يتخذ من هزائمنا جسراً يصل به إلى النصر الحاسم ، ومن أخطائنا وهفواتنا دروساً يستنير بها يوم يبدأ زحفه الميمون لتطهير الأرض المقدسة من أرجاس الإنسانية ونفايات الشعوب » ( ص ١٨ ) .

هذا ، وقد بدأ المؤلف كتابه بفراصة تاريخية عن فلسطين ، ثم تكلم عن تقرير بريطانيا بالعرب سنين طويلة ، وعن الطرق التي اتخذها العرب للدفاع عن حقوقهم

قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها ، وبعد هذا ، يصل إلى تدخل « الإخوان » في قضية فلسطين واشتراكهم في الحرب فيها ( ص ٤١ وما بعدها ) . ثم أخذ يفصل القول في معارك هذه الحرب ، وفيما وضعت الحكومة السعدية أمام الإخوان من عقبات ، وفيما كان حق انتهاء الحرب بالكارثة التي نعرفها ولا تزال نعانى من جرائها ، وفي المسئولين من المصريين وغيرهم من زعماء البلدان العربية . وفي هذا العرض الأخاذ المؤلم معا ، نرى كيف تفعل العقيدة المؤمنة ، وكيف كان إيمان شباب الإخوان يدفعهم للاستبسال والاستشهاد في سبيل الله معرضين عما يحرص عليه الناس من متاع هذه الحياة الدنيا .

وهنا ، يصل بنا المؤلف إلى موقف الإخوان المجيد حين أبلغوا وهم بالميدان قرار حل جماعتهم ، وهي الجريمة التي اقترفتها الحكومة السعدية ، والأمر بأن يسلموا لقيادة الجيش ما تحت أيديهم من سلاح ومعدات حربية ، وكان أن قال المؤلف باسم الإخوان لوكيل القائد العام للجيش المصري ( ص ١٨١ ) : « إننا نؤمن أن هذه الدعوة ليست قابلة للحل لأنها دعوة الله ، وحل الإخوان عندنا لن يتعدى نزع اللاتقات وإغلاق الأبواب ، أما الدعوة فموضعها قلوب الصفوة المؤمنة وهي قلاع منيعة لا يمكن قهرها ولا اقتحامها » ، إلى آخر ما قال . ولقد صدق ؛ فالإخوان لم تعد جماعة أو جمعية محصورة في مكان ، بل أصبحت فكرة استولت على قلوب المؤمنين من المسلمين ولا يقف أمامها أى حاجز من صنع البشر .

ويسير بنا المؤلف الفاضل بعد هذا ، ويرينا كيف اضطرت الحكومة السعدية مع ذلك إلى الاعتراف رسمياً ببطولة الإخوان ( ص ٢٠٠ — ٢٠١ ) ، وكيف اضطرت قيادة الجيش في فلسطين إلى طلب معونة الإخوان العسكرية ( ص ٢٠٤ — ٢١٤ ) فبذلوها عن طيب خاطر لأنهم مجاهدون في سبيل الله والوطن الإسلامى كله ، وظلوا هكذا حتى انتهت الحرب وجازتهم الحكومة على ما قدموا لله والوطن بالاعتقال والتنكيل . وأخيراً ، يختم المؤلف كتابه القيم بذكره الحقائق التي يجب مواجهتها بعد أن انتهت الحرب نهايتها المعروفة ، وبالدعوة للكفاح من جديد ( ص ٢٣٨ وما بعدها ) وليس لنا بعد ذلك كله إلا أن نحمد للمؤلف جهاده ، وأن نشكر الناشر الفاضل على نشر هذا الكتاب الذى يفيد منه القارىء أجل فائدة .

٢ — « نظرة إجمالية في تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند والباكستان » : للأستاذ مسعود الندري نشر لجنة الشباب المسلم سنة ١٩٥٣ - ١٥٩ ص من القطع الصغير

وهذا الكتاب الذي يحمل لنا « تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند والباكستان » يرينا كيف يسير دين الفطرة ويتمكن في القلوب بعامة ، وبقفنا بخاصة على الطرق التي انتشر بها في هذه القارة الواسعة . وفي الحق ، فهذه الرسالة اللطيفة « تعنى بتاريخ الإسلام ، لا المسلمين ، وما طرأ على الدعوة الإسلامية في هذه البلاد من تطورات وتقلبات في القرون الغابرة المتطاولة التي تمتد من فجر الإسلام إلى العصر الحاضر » ص ١٠ ومن المعروف أن من الطرق التي دخل بها الإسلام الهند ، هو صنيع التجار العرب الذين كانوا يرتادون بتجاراتهم هذه البلاد . ولكفي تأصله في هذه الأقطار وغيرها من الأقطار النائية ، يعود الفضل فيه إلى حد كبير إلى العلماء والمشايع الذين هاجروا من أوطانهم في بلدان الإسلام ودخلوا الهند دعاة مرشدين وخالطوا أهلها وعاشروهم ، ولقنهم مبادئ الدين الحق وعلوم آداب الإسلام ، فتأثر سكان البلاد بأخلاقهم ( ص ١٥ ) . وهكذا ، تعرف أثر القوى الطيبة في نشر الدين .

ويعرض المؤلف بعد ذلك ( ص ١٤ وما بعدها ) ، إلى عوامل تقاوص الدعوة الإسلامية في الهند فترة طويلة من الزمن ، ومنها جمود بعض العلماء والشيوخ وضلال بعض ملوك المغول مثل الملك أكبر المتوفى عام ١٠١٤ هـ بعد أن ملك خمسين عاما ، حارب فيها الإسلام بكل وسيلة . إلا أنه كان من لطف الله بهذه البلاد أن ظهر فيها علماء مجدودين كان لهم أكبر الأثر في الدعوة الإسلامية ، ويذكر المؤلف منهم عدداً غير قليل وعلى رأسهم الشيخ أحمد السرهندي ( ٩٧٧ — ١٠٣٤ هـ ) الذي استطاع بجهادته وصلابته في الحق حمل الملك « جهان » كير — ابن الملك أكبر — على إلغاء ما كان استحدثه أبوه من مراسم وقوانين ضد الإسلام .

وبعد هذا ، يقفنا الكاتب على الصراع الذي قام بين كلية عليشكرا الشهيرة وبين مدرسة « ريسونند » ، أي بين أنصار الجديد المتطرف والقديم الجامد ، مما أدى إلى محاولة التوسط بين هذين الطرفين بإنشاء « ندوة العلماء » و « دار العلوم » التابعة لها سنة ١٣١١ هـ ( ص ٥٧ وما بعدها ) ، ثم يتكلم بعد ذلك ، عن أثر شاعر الهند محمد إقبال ، وأبي الكلام ، ومولانا محمد علي شقيق شوكت علي ، في البعث العلمي وإنعاش الروح الدينية .



والكتاب ، على صفحته ، زآخر بعد ماتقدم كله بالحديث الدقيق عن موقف الهند بعد إلغاء الخلافة ، وعن التيارات والحركات العلمية الإسلامية والسياسة التي تسود الهند والباكستان في العصر الحاضر ، وعن تأسيس الجماعة الإسلامية عام ١٩٤١ م التي انتخب السيد أبي الأعلى المودودي أميراً لها . وهذه الجماعة تقوم على الدعوة الإسلامية الخالصة ، البريئة من النزعات القومية الهندية ، والطاهرة من شوائب النزعات القومية الإسلامية الجغرافية ( ص ٨٤ ) ، وهكذا نرى أن البلاد قد تخلصت إلى حد كبير من عوامل التفرقة الثقافية والدينية ، وذلك حين ألفت هذه « الجماعة الإسلامية » . كما أنها أخذت تسير في الطريق المستقيم .

وأخيراً ، قدم الأستاذ العالم صديقنا محب الدين الخطيب للكتاب بمقدمة طيبة ، وختمته اللجنة النشرة بتعقيب لخصت فيه أهم ما احتواه من آراء وأفكار قيعة ، وهذا وذاك ما يجعل القارئ يفيد منه فائدة كبيرة . أمد الله في حياة « الجماعة الإسلامية » وفي حياة سائر إخواننا المسلمين العاملين هناك ، وبارك في جهود المسلمين جميعاً في الدعوة للإسلام ونشر تراثه وتعارف أهله .

الدكتور محمد يوسف موسى



قال عمر بن الخطاب لكتابه وعمله : « إن القوة على العمل ألا تؤخروا عمل اليوم إلى الغد ، فإنكم إذا فعلتم ذلك تذابت عليكم الأعمال ، فلا تدرون بأيهما تبدأون ، وأنها تأخذون » .

« الطبري »

# ناروتنا

\* هدية الحمر للنبي قبل التحريم  
\* حديث خم

جاءتنا هذه الرسالة من الأخ الأستاذ محمود الحشاش موجهة إلى فضيلة أستاذنا  
الوالد الجليل الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا :

تحية من الله مباركة طيبة وجزاكم الله عنا خير الجزاء . وبعد :

فقد جاء في مقالكم السابع بالعدد الرابع للسنة الثانية من « المسلمون » في أحاديث  
السادات : نافع بن كيسان ، وعبد الرحمن بن وعلة ، وعبد الرحمن بن غنم الأشقري أنه  
كان يُهدى إلى حضرة النبي صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله راويات من خمر إلى عام  
الفتح الذي حرمت فيه الحمر .

فأرجو مخلصاً ليطمئن قلبي أن تزيدونا نورا من نوركم لنفقه ونفقه إخواننا  
هل كان المعصوم يقبل هذه الهدية ويشربها وهو الذي لم يعمل بأعمال الجاهلية في صباه  
ماتأباه عليه دعوته المنتظرة .

وإننا في انتظار جوابكم في العدد القادم ، وجزاكم الله الحسنى وزيادة .

\*\*\*

وقد تفضل أستاذنا الكريم بالجواب على سؤال الأخ بالآتي :

حضرة الأخ المحترم الأستاذ محمود الحشاش حفظه الله :

السلام عليكم ورحمة الله وبعد : فقد اطلعت على خطابكم وبه تستفهمون هل كان  
النبي صلى الله عليه وسلم يشرب من الحمر التي تهدي إليه قبل تحريمها أم لا ، والجواب  
عن ذلك أن الحمر كانت تهدي إليه قبل تحريمها حقيقة ، وأنها بنص الأحاديث الصحيحة  
كحديث عبد الرحمن بن وعلة رواه مسلم والإمام أحمد والنسائي والبيهقي ، وحديث

نافع بن كيسان رواه الإمام أحمد والطبراني في الكبير والأوسط وسنده حسن ،  
 وحديث عبد الرحمن بن غنم رواه الإمام أحمد وأبو يعلى والطبراني في الكبير وسنده  
 حسن أيضاً . ولم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب الخمر مطلقاً لا في جاهلية ولا  
 في إسلام ؛ ولا يلزم من الإهداء له أنه كان يشربها ، بل كان يقسمها على أصحابه قبل  
 تحريمها ، ولذلك نظائر فقد أهدى أكيدر دومة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثوب  
 حرير فأعطاه علياً فقال شققه فخرأ بين القواطم : يعنى فاطمة بنت رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم ، وفاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنه ، وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطاب .  
 ولم يلبسه صلى الله عليه وسلم ولم يأمر علياً بلبسه ، بل أمره أن يوزعه على النسوة لأنه  
 يحل لهن لبس الحرير ، فكان صلى الله عليه وسلم يقبل هدايا الخمر قبل تحريمها ويوزعها  
 على أصحابه لأنه يحل لهم شربها ، فلما حرمت لم يقبلها وأمر المهدي بإراقها . وفي هذا  
 القدر كفاية والسلام عليكم ورحمة الله .

وبعث إلينا فضيلة الأستاذ السيد تقى الدين القمى بهذه الرسالة التي جاءته من السيد  
 محمد حسن الحسيني :

تحية إسلامية مباركة . . . كنا نود أن نكاتبكم في غير ما نتناوله الآن ، كنا نود  
 أن نكاتبكم في معاني الود والإخاء التي رأينا أثارها بين زعماء المسلمين ممن عرفوا  
 رسالة التقريب ، بل كنا نود أن نكاتبكم عن المؤلفين وأصحاب الصحف الذين اعتنقوا  
 هذه الفكرة وسخروا أقلامهم لخدمة تلك المعاني السامية . إلا أنه لا يزال مع الأسف  
 بعض أقلام لا تؤدي لهذه الرسالة حقها ، بل وتتهز كل فرصة للنيل من الغير ، وهي  
 وأن لم تكن تجرؤ على مهاجمة الغير بصورة طائفية فإنها تنال من مبادئهم أو ما هو ثابت  
 عندهم ؛ من ذلك ما قرأته في مجلة « المسلمون » بعنوان السنة ، وهي مجلة تطبع في مصر  
 البلد الذي فيه المركز العام لجماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية الموقرة مجلة نعتبرها  
 امتداداً لمجلة الشهاب للمغفور له الشهيد حسن البنا أحد الأعضاء المؤسسين لجماعة التقريب ،  
 تلك الجماعة المؤلفة من مذاهب أهل السنة ومن الإمامية والزيدية من الشيعة ، مجلة  
 بمقتضى اسمها تعتبر للمسلمين عامة لا لطائفة خاصة ؛ فما أغرب أن نجد فيها مقالات في السنة  
 كنا نود أن تكون لا تنسئ إلى شعور الآخرين . ولا أعرف أى داع أو سبب خفي  
 يجعل الكاتب حين يذكر الأحاديث غير المعتبرة أو على حد قوله الموضوعية يمثل بحديث

الغدير . وإليك ملخص مايقول : «وما وجدنا قط رواية عن أحد في هذا النص البدعي إلا رواية واهية عن مجهول إلى مجهول يكفى أبا الحمراء لا نعرف من هو في الخلق » هذا بجانب ذكر كلمات مثل الرافضة . . . وكاتب المقال يرى انفراد الرافضة ( كذا ) بنقل الحديث دون جماهير المسلمين دليل على كذبهم فيه . . . نريد أن نلفت نظر صاحب مجلة «المسلمون» بأن يدقق في مقالات تصله ولا يسمح بيزر السموم في مجلته .

حديث خم لا تنفرد به طائفة دون أخرى وليس راويه مجهول نقل عن مجهول وإنى أنقل حرفياً جزءاً مما كتب حول هذا الحديث وعن رواته ليعرف كاتب المقال أن الحديث يكاد يكون كالتواتر ، وإيس له أن يتلاعب بالسنة للنيل من الطوائف الأخرى .

فقد جاء في كتاب جامع للأسانيد هو ( مراجعات صفحة ١٧٥ ) ما يأتي : بل لا ريب في تواتره من طريق أهل السنة بحكم النواميس الطبيعية كما سمعت « لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم . ولكن أكثر الناس لا يعلمون » وصاحب الفتاوى الحامدية ( على تعنته ) يصرح بتواتر الحديث في رسالته المختصرة الموسومة بالصلوات الفاخرة في الأحاديث المتواترة ، والسيوطي وأمثاله من الحفاظ ينصون على ذلك ، ودونك محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ المشهورين ، وأحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة ، ومحمد بن أحمد ابن عثمان الذهبي فإنهم تصدوا لطرقه فأفرد له كل منهم كتاباً على حدة ، وقد أخرجه ابن جرير في كتابه من خمسة وسبعين طريقاً ، وأخرجه بن عقدة في كتابه من مائة وخمسة طرق ( نص صاحب غاية المرام في أواخر الباب ١٦ ص ٨٩ من كتابه المذكور : أن ابن جرير أخرج حديث الغدير من خمسة وتسعين طريقاً في كتاب أفرد له سماه كتاب الولاية ، وأن ابن عقدة أخرجه من مائة وخمسة طرق في كتاب أفرد له ، ونص الإمام أحمد بن محمد بن محمد بن الصديق المغربي على أن كلا من الذهبي وابن عقدة أفرد لهذا الحديث كتاباً خاصاً فراجع خطة كتابه القيم — الموسوم بفتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم على ) والذهبي على تشدده صحح كثيراً من طرقه ، وفي الباب السادس عشر من غاية المرام تسعة وثمانون حديثاً من طريق أهل السنة في نص الغدير ، على أنه لم ينقل عن الترمذي ولا عن النسائي ولا عن الطبراني ولا عن البزار ولا عن أبي يعلى ولا عن كثير ممن أخرج هذا الحديث . والسيوطي نقل الحديث في أحوال على من كتابه تاريخ الخلفاء عن الترمذي ، وأخرجه أحمد بن علي وأبي أيوب الأنصاري وزيد بن أرقم وعمر وذى مر (١) ( قال ) وأبو يعلى عن أبي هريرة والطبراني عن ابن عمر ومالك

(١) أخرجه أيضاً من حديث ابن عباس ص ١٣١ من الجزء الأول من مسنده من حديث البراء في ص ٢٨١ من الجزء الرابع من مسنده .



ابن الحويرث وحشى بن جنادة وجريز وسعد بن أبي وقاص وأبي سعيد الخدرى وأنس (قال) والبزار عن ابن عباس وعمارة وبريدة اهـ — ومما يدل على شيوع هذا الحديث وإذاعته ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن رياح ابن الحرث من طريقين إليه قال جاء رهط إلى علي فقالوا السلام عليك يا مولانا ، قال من القوم ، قالوا مواليك يا أمير المؤمنين ، قال كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب ، قالوا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم يقول : «من كنت مولاه فإن هذا مولاه» قال رياح فلما مضوا تبعهم فسألت من هؤلاء قالوا نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري اهـ — ومما يدل على تواتره ما أخرجه أبو إسحق الثعلبي في تفسير سورة الماعج من تفسيره الكبير بسندين معتبرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يوم غدير خم نادى الناس فاجتمعوا فأخذ بيد علي فقال : «من كنت مولاه فعلى مولاه» فشاع ذلك فطار في البلاد ، وبان ذلك الحارث بن النعمان الفهرى فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقه له فأناخها ونزل عنها وقال يا محمد أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلنا منك ، وأمرتنا أن نصلي خمساً قبلنا منك وأمرتنا بالزكاة قبلنا وأمرتنا أن نصوم رمضان قبلنا وأمرتنا بالحج قبلنا ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك تفضله علينا فقلت من كنت مولاه فعلى مولاه فهذا شيء منك أم من الله ، فقال صلى الله عليه وسلم فوالله الذي لا إله إلا هو إن هذا لمن الله عز وجل ، فوالى الحارث يريد راحلته وهو يقول : اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو إئتنا بعذاب أليم ، فلما وصل إلى راحلته حتى رماء الله سبحانه بحجر سقط على هامته فخرج من دبره فقتله وأرسل الله تعالى «سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي الماعج» انتهى الحديث بعين لفظه ، وقد أرسله جماعة من أعلام أهل السنة إرسال المسلمات .

وقد بعثت إلى مماتكم هذا لتقوموا بما ترونه لازماً ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

\*\*\*

وقد كتبنا إلى فضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى السباعي فتفضل مشكوراً بهذا الجواب : تعرضت في المقالة السادسة من مقالات السنة وهي المنشورة في العدد السادس من السنة الأولى من مجلة «المسلمون» للبواعث التي أدت إلى وضع الحديث والكذب فيه . وذكرت من جملة البواعث ، الاختلافات السياسية التي وقعت في عهد الصحابة فمن بعدهم . . . وقلت حينئذ . . . ومن أمثلة ما وضعوه من الأحاديث حديث الوصية في غدير خم ، وخلصته أن النبي صلى الله عليه وسلم في رجوعه من حجة الوداع جمع الصحابة



في مكان يقال له غدير خم ، وأخذ بيد علي رضي الله عنه ووقف به على الصحابة جميعاً وهم يشهدون وقال : « هذا وصي وأخى والخليفة من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا » ثم قلت : وهو حديث مكذوب بلا شك وضعته الرافضة وسيأتي بيان كذبه .

وفي المقالة الثامنة المنشورة في العدد الثامن من أعداد السنة الأولى تعرضت للعلامات الوضع في الحديث ، وذكرت من علامته أن يتضمن الحديث أمراً من شأنه أن يتوفر الدواعي على نقله لأنه وقع بمشهد عظيم ثم لا يشتهر ولا يرويه إلا واحد ، وبهذا حكم أهل السنة على حديث غدير خم ( وهو الذي ذكرت نصه في المقالة السابقة ) بالوضع والكذب ، قال العلماء : إن من أمارات الوضع في هذا الحديث أن يصرح بوقوعه على مشهد من الصحابة جميعاً ثم يقع بعد ذلك أن يتفقوا جميعاً على كتابته حين استخلاف أبي بكر رضي الله عنه ومثل هذا بعيد ومستحيل في العادة ؛ ثم نقلت قول ابن تيمية : « إن هذا النص لم يبلغه أحد بإسناد صحيح فضلاً عن أن يكون متواتراً » ونقلت قول ابن حزم : « ما وجدنا قط رواية عن أحد في هذا النص المدعى إلا رواية واهية عن مجهول إلى مجهول يكفى أبا الحمراء لا نعرف من هو في الخلق » .

وبهذا يتبين أن الحديث الذي نقلت أقوال العلماء بتكذيبه هو الذي ورد فيه النص على استخلاف علي رضي الله عنه على ملا من جمهور الصحابة في غدير خم ، وهذا ما لم يرد في كتاب من كتب السنة المعتمدة عند علماء الحديث ، وهو عند مكذوب لا شك فيه إذ لم نجد أحداً من الصحابة — حتى علياً رضي الله عنه — استشهد به في أحاديث السقيفة فما بعدها يوم استخلف أبو بكر رضي الله عنه ، ولو صح أن النبي أوصى في غدير خم بالخلافة صراحة إلى علي لما خفي ذلك على الصحابة بعد وفاته ولما أمكن في نظر العقل أن يتواطؤوا جميعاً على كتابته ، ويوافقنا في هذا الرأي أفاضل علماء الشيعة ومنصفوهم ، فقد قال ابن أبي الحديد « واعلم أن الآثار في هذا الباب — في خلافة الرسول بعد وفاته — كثيرة جداً ، ومن تأملها وأنصف علم أنه لم يكن هناك نص صريح » . إلى أن قال « ولا ريب أن المنصف إذا سمع ما جرى لهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله يعلم قطعاً أنه لم يكن هذا النص <sup>(١)</sup> » .

أما ما أشار إليه الفاضل « محمد حسن الحسيني » في اعتراضه من أنه حديث مشهور أفرد له الطبري مؤلفاً خاصاً ورواه من خمسة وتسعين طريقاً ، فهو حديث آخر روته

كتب السنة وهو بلفظ يختلف تماماً عن الحديث الذي حكنا بوضعه ، ولفظه : « من كنت مولاه فعلى مولاه » وهذا هو الذي صححه الذهبي وغيره ، وادعى السيوطي أنه متواتر ، ونحن نقول به ونشهد أن علياً رضي الله عنه مولانا وإمامنا وابن عم رسولنا صلى الله عليه وسلم . وأريد أن أصحح ماورد في اعتراض الفضل الشيعي من أن ابن جرير الذي ألف كتاباً في هذا الحديث هو ابن جرير المشهور صاحب التاريخ والتفسير المشهورين ، فهذا وهم وخطأ ، بل محمد بن جرير هذا هو غير ابن جرير المشهور وهو كما يقول ابن أبي الحديد عنه من رجال الشيعة ، وأظن أن أمه من بني جرير من مدينة أهل طبرستان ، وبنو جرير الآمليون شيعة مشتهرون بالتشيع ، فنسب إلى أخواله ويدل على ذلك شعر مروى له وهو

فأمل مولدي وبنو جرير فأخوالي ويحكي المرء خاله  
فمن يك رافضياً عن أبيه فإنني رافضى عن كلاله (١)

وبهذا يتبين أن ما ادعاه الأخ المعترض من أننا نتلاعب بالسنة للنيل من الطوائف الأخرى ، وأنها ننشر السحوم ونعمل على التفرقة « غير صحيح ، بل هو الذي نتلاعب بكلامنا وادعى أن الحديث الذي حكم العلماء بوضعه ، حديث صحيح مشهور بل متواتر ، فمن التلاعب بالسنة ومن الذي ينال من الطوائف الأخرى ؟ .

أما ذكر « الرافضة » في صدد بحث علمي لآلاقة له بالسياسة ولا بالمعاطفة ، فهو اصطلاح خاص يطلق على غلاة الشيعة الذين كفروا أبا بكر وعمر وعثمان وأبا عبيدة وعبد الرحمن بن عوف وجمهور الصحابة ولم يستثنوا من الكفر إلا خمسة أو ثلاثة عشر منهم فقط وهم الذين اعترف ابن أبي الحديد — وهو من كبار علماء الشيعة — بأنهم كانوا أول من كذب في الحديث على النبي صلى الله عليه وسلم ليزيدوا في فضائل على رضي الله عنه ما ليس بحاجة إليه .

فإذا أطلقنا لفظ « الرافضة » على من يكفرو هؤلاء الصحابة وهم حملة الشريعة وثقله الإسلام وهم الذين وصل إلينا القرآن والتشريع عن طريقهم ، فإنما نريد بذلك أن نبرئ جمهور الشيعة من أكاذيبهم ومغالاتهم ، ولا أظن أن الكاتب الفاضل ومن عده من أفاضل علماء الشيعة يرضون أن ينسب إليهم تكفير أبي بكر وعمر وجمهور الصحابة الذين لم تر الإنسانية أكمل من أخلاقهم ولا أرضى لله من دينهم .

أما التقريب بين المذاهب والدعوة إلى اجتماع شمل المسلمين فالله يعلم أننا ممن يدعو إلى ذلك ويعمل له ، وحياتنا العملية شاهد صدق . ولكننا لانفهم التقريب ستاراً يخفي وراءه التعصب ضد الصحابة والثبات على إساءة الظن بدينهم وتقواهم وأمااتهم ، بل نحن لا نرى في ذلك إلا شعوبية خبيثة دخلت على الإسلام لتشكك المسلمين في ثقة دينهم وخلفاء نبهم وحملته رسالته إلى أمم العالم ، وإن أول شروط التقريب بين المذاهب أن نحتكم إلى القرآن والثابت من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فهل في كتاب الله أم في سنة رسوله الصحيحة ما يجعل الصحابة كلهم كفاراً إلا خمسة أو ثلاثة عشر ؟

أخرج الإمام أحمد في مسنده عن علي رضي الله عنه قال : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : فيك مثل من عيسى بن مريم : أبغضه اليهود حتى بهتوا أمه ، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليس به ثم قال : يهلك في رجلان : محب مفرط يقرظني بما ليس فيّ ، ومبغض يحمله شتأني على أن يبهتي « اهـ .

ونحن نشهدك اللهم أنا نحب علياً ابن عم نبيك محمد صلى الله عليه وسلم حبا يملأ شغاف قلوبنا ، ونراه بالمنزلة التي تحله مكان الصدارة بين جمهور الصحابة ؛ ولكننا نبرؤ إليك من أن نكون في حبه من المفرطين .

مصطفى السباعي

« يذكر الأخ القاري رسالة نشرناها في ندوتنا حول مقال « كيف تحج ونزور » في العدد العاشر من السنة الأولى ، وقد فهم بعض الأخوة القراء أن هذا المقال لفضيلة الأستاذ حسن الهضيبي المرشد العام للاخوان المسلمين ، والحقيقة أن المقال ليس لفضيلته ، ولكنه لأستاذ فاضل من أسرة التحرير .

# إِنَّ لِبَدَنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا

بإشراف الأمير لاي الدكتور أحمد الناقة

نلخص الأسئلة التي وردت ونجمل الإجابة عليها فيما يلي :  
س ١ : زكام وكحة منذ ٥ سنوات عولجت بمجسات كهربائية . وأشار أحد أطباء الصدر بأنه لا داعي للعلاج الكهربائي .  
ج : نؤيد رأى طبيب الصدر ونرى استشارة طبيب الأنف .

\*\*\*

س ٢ : التهاب وألم وعرق وتشقق في الجلد بين أصابع القدمين ، لم تفد صبغة اليود ولا الحناء .

ج : هذا مرض معد يمكن علاجه بما يأتي إذا لم يتيسر استشارة الطبيب : —  
١ — خمس جرام برمنجنات البوتاس تذاب في لتر ماء ويعمل بها حمام قدم لمدة عشر دقائق ثم يحفف القدم ويدهن بالمحلول الآتي :  
٢ — جنتيان بنفسجي مذاب في كحول بنسبة ٢ ٪ ويكرر الحمام الأول والمحلول الثاني كل ( ١٢ ) ساعة لبضعة أيام حتى يتم الشفاء .

\*\*\*

س ٣ : بعض النساء يحترفن استخراج الدود من أنوف وآذان الأطفال .  
ج : الدود هو يرقات ذباب يتغذى على الأنسجة المتقيحة في الأنف أو الأذن ( اليرقات هي طور في حياة الذباب يخرج فيه الذباب من بويضاته على شكل دود قبل أن تظهر أجنحته ، وهو بعينه دود المش المعروف ) ، فإذا كان السائل يقصد هذا الدود فإنه يجب عرض الأطفال المصابين على الأطباء لوصف العلاج اللازم ، أما غير ذلك من أعمال الشعوذة فنحذر منه .

\*\*\*

س ٤ : ديدان صغيرة تخرج من الدبر أثناء النوم هل هي اسكارس وما العلاج ؟ وهل خروجها ينقض الوضوء ؟

ج : هذه ديدان صغيرة بحجم الدبوس وليست اسكارس التي هي بحجم قلم الرصاص وأكثر ما تصيب الأطفال وتعدى كل أفراد الأسرة وقد تسبب حساسية حول الشرج وبعض الأعراض المعوية والعصبية ، ويلزم فحص وعلاج كل أفراد الأسرة لأن العدوى

سهلة باللمس ويجب غسل الأيدي بالصابون قبل الطعام وبعد التبرز وكذلك يجب قص الأظافر وعدم حك الشرج ومراعاة النظافة التامة حول الشرج وأخيراً يلزم إعطاء بعض الأدوية بمعرفة الطبيب، وهي لا تنقض الوضوء إلا إذا علق بها شيء ينقض خروجه الوضوء.

\*\*\*

س ٥ : طفل حديث الولادة على صدره وذراعه يقع حمراء كبيرة لم تزل بعد شهرين من ولادته .

ج : هذه ما يسمى ( وحة ) وهي عبارة عن اتساع خلقى بشعيرات الدم وهذه قد لا تزول إلا بالجراحة وهي ليست مرضاً ولا ضرر منها .

\*\*\*

س ٦ : جفاف تام وصعوبة حركة العين وقت المذاكرة ليلاً .

ج ٦ : قد يكون ذلك نتيجة إجهاد أو رمد بالجلفون أو ضعف بالبصر وعلاجه الراحة أو المس أو النظارة حسبما يرى الطبيب .

\*\*\*

س ٧ : عدم مرونة في الظهر مع الشهيق وآلام متتمة في الصدر قد تكون نتيجة رطوبة قديمة ( كما يقول السائل ) .

ج ٨ : نرجح أن تكون الحالة نتيجة قلة الحركة والنشاط ونرى أن يعالج بالرياضة والتدفئة . .

\*\*\*

س ٨ : دوخة ورعشة ثم تقلص العضلات وغيوبة وجحوظ العينين وشخير وسرعة وشدة دقات القلب مدة ثلاث إلى خمس دقائق ثم يفيق المريض متعباً يشكو الصداع مدة ١٥ دقيقة ، وتكرر مراراً كل أسبوع وخاصة ليلاً وفي الطقس البارد .

ج : هذه نوبات عصبية هستيرية وعلاجها الراحة والسرور وحل الأزمات النفسية وهذه قد تغنى عن استعمال الأدوية، وقد يحتاج المريض لبعض الأدوية المهدئة بمعرفة الطبيب .



# مع العارفين

الإمام الممتحن : أحمد بن حنبل  
بين فتنة الجاه وفتنة المال

( ٢ )

... لقد التفت الإمام إلى الملابس الفاخرة التي أهديت إليه ، وقال لابنه صالح :  
« وجه بهذه الثياب إلى بغداد ، فبعها وتصدق بشئها ، وحذار أن يشتري أحد منكم  
شيئاً منها » .

أما الفرش الوثيرة الطرية ، فقد نحى نفسه عنها ، وألقى بنفسه على مضربة خشنة  
له ... ونظر إلى حجرة في جانب الدار ، فأمر أن يحول إلى ركن منها ، وأن لا يسرج  
له فيها سراج قط .

وأما المائدة فقد عافها ، فلم يدخل بطنه شيء منها ... وكانت شهية حافلة ، حتى  
إن صاحب الدار التي كانوا ينزلون بها — لما رأى إعراض أحمد عنها — ساوم صالحاً  
بثلاثة آلاف يدفعها له مكانها كل شهر فأبى . . . وناهيك بمائدة تتكلف كل شهر ثلاثة  
آلاف أو أكثر في تلك العصور الخاليات ! !

بلغ الضجر بالإمام كل مبلغ ، وبرم بكل شيء ، وزهد في كل شيء . . . ولم يعد  
أبغض إليه من أن يلتقي رجال الخليفة ، حتى كان يدعهم مع بنيه في الدهليز ويقبل على  
صلاته وقراءته ماشاء الله . . .

وكان المرض ينزل به فيراه عافية سابعة لما فيه من عافية احتجابه عنهم ! . . .  
اشتكت عينه مرة ، فلما برئت ضاق ببرئها ، وقال لولده صالح : « ألا تعجب ! ؟ .  
كانت عيني تشتكي فتمكث حيناً حتى تبرأ ثم هي في هذه المرة تبرأ في سرعة ! » .

أقبل الإمام على الصلاة لا يفتر . . . وعلى القرآن يختمه كل جمعة . . . وعلى الصيام  
يوصله في الصيف القائط ، فلا يفطر إلا كل ثلاثة أيام . . . أو كل يومين ؛ فإذا  
أفطر أفطر على تمر وسويق أو على رغيف ! وكانت المائدة توضع في الدهليز حتى  
لا يراها ! . . . فساءت صحته وزهبت قوته وضعف بدنه . . . وكان يأخذ العطش ،  
ويجهد الحر ، فتبل له خرقة بالماء ، فيضعها على صدره الذي يعلو ويهبط بما يتردد فيه  
من أنفاس خافتة . . .

وكان الطبيب ابن ماسويه يعود كل يوم من قبل الخليفة لينظر ما به من علة ، فيقول له : « يا أبا عبد الله ، أنا أميل إليك وإلى أصحابك . . . والله ما بك من علة إلا الضعف ، وقلة الطعام والبر » .

ولكن أحمد يمضى في صيامه وقلة الطعام والبر ، لا يلوى طى كلام ابن ماسويه . . . ويأتيه أن الخليفة أمر أن يشتري له دار بسر من رأى ليقم فيها حياته محدثاً بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتعظم به المحنة وتزداد الأزمة انقباضاً وحدة ، ويدعو صالحاً ابنه ويقول له : « لئن أقررت لهم بشراء الدار لتكونن القطيعة بيني وبينكم . . . إنما يريدون أن أحدث فيكون هذا البلد حبسى ! . وما حبسى إلا جوار هؤلاء . . . والله لقد تمنيت الموت في الأمر الذى كان أيام المعتصم ؛ وإنى لأتمنى الموت في هذا ! ! إن هذا فتنة الدنيا ؛ وكان ذاك فتنة الدين » قال صالح : ثم جعل يضم أصابع يده ، ويقول : « لو كانت نفسى في يدي لأرسلتها » . . ثم يفتح أصابعه ! ! .

\*\*\*

وكانت رسل الخليفة لا تنقطع عن أحمد يرسلهم إليه كل يوم ، برأ به ، وتلطفاً إليه . . فهذا محمد بن معاوية يقول له : أمير المؤمنين يكثر ذكرك ويقول : تقيم ها هنا تحدث . . . فيجزع أحمد لأمر لا يد له بمخالفته ، ولا طاقة له بقبوله ؛ فيلوذ إلى الاحتجاج بالمرض : « أنا ضعيف » . . ويضع إصبعه على بعض أسنانه ويقول : « إن بعض أسناني تحرك ، وما أخبرت بذلك ولدى »

ويأتيه رسول آخر يعرض عليه أن يزور الخليفة ، ويومئ إلى ذلك من طرف خفى بقوله : « أمير المؤمنين مشتاق إليك » . . فيسكت . . . وتتوالى الرسل تقول : « يا أبا عبد الله ، لا بد له من أن يراك » فيسكت . . ولا يجيب . . فإذا انصرفوا قال لابنه صالح : « ألا تعجب من قولهم لا بد له من أن يراك ؟ » .

ولكن الخليفة يلح في المقابلة ويتلطف فلا يعرض على أحمد ميعاداً بعينه ، بل يترك له تحديد الوقت الذى يلائمه ، فيجىء يعقوب ويقول :

« يا أبا عبد الله ، أمير المؤمنين مشتاق إليك ، ويقول لك : انظر اليوم الذى تصير إلى فيه ، أى يوم هو حق أعرفه ؟ »

ويرى أحمد نفسه أمام أمر من الخليفة لا بد له من إجابته أداء لحق السمع والطاعة . ويتأدب بإزاء أدب الخليفة معه فلا يقبل أن يحدد موعد المقابلة ، ويتركه لمن يهمهم الأمر ؛ فيقول للرسول : « ذلك إليكم » .

فيقول الرسول : يوم الأربعاء خال . . .

لم يكن شيء في تلك الفترة أبغض إلى نفس أحمد من هذا اللقاء !  
إنه الملك يحني هامته له ، وقد أقبل عليه بخطب وده ، حاسراً التاج عن مفرقه ،  
متجرداً من كل شارات الجلالة أجلاً لمكانه . . . فماذا يبتغي أحمد ، وهي منزلة  
لا يحلم بها حالم من طلاب مجد الدنيا ؟ . . .

إن أحمد لا يبتغي شيئاً من ذلك ، ولا ينشد إلا المعافاة منه . . . إنه لا ينظر إلى  
ما هو فيه إلا على أنه محنة . . . ولا ينظر إلى التوكل إلا على أنه معتصم من طراز آخر .  
وما المال والجاه والقرب ، إلا سياط هذا المعتصم الجديد . . . سياط لا تلهب الأعصاب  
ولا تحرق البدن ، ولكن تلهب حساً قدسياً في وجدانه . . . يجد لسعه المزعج دون أن  
يدري له كيفاً أو يستطيع عنه إبانة . . . ولقد عانى أحمد من بلاء هذه المحنة ، أو من  
بلاء هذه العافية إلى الآن فوق ما يطيق . . . وجاء هذا اللقاء ، لقاء يوم الأربعاء  
الموعد بما لم يحىء مثله من قبل . فهو لا يتعنى على الله إلا أن يعافيه من أزمته . . .  
فهل يحببه سبحانه إلى ما يتعنى ، وهو جل شأنه الذي يقول في الصادقين من عباده :  
« لهم ما يشاءون عند ربهم » ؟ . . .

يا الله ! ما أجل كرامة أولياء الله عليه ! . . . وما ألطف معافاته لهم بما يكرهون ! . . .  
وما أجل ما يصنع لهم في الخفاء لكشف كربهم وهم لا يحسبون ! . . .  
ماذا كان يوم الأربعاء على قلب أحمد ؟ ! . . .

وماذا كانت شمس ذلك اليوم في مرآى بصره وهي تطلع ؟ . . .  
وأى كرب ذلك الذي كان يحتم على صدره وهو ينتظر قدوم رسول الخليفة ليصعبه  
إلى المقاتلة ؟ ! . . .

وماذا كان من حاله ، حين هبط عليه الرسول المرتقب فجأة لا ليصعبه إلى الموعد ،  
بل ليقول له : « البشرى يا أبا عبد الله ! » أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ، ويقول :  
قد أعفيتك من الركوب إلى . . . وإلى ابني المعتز . . . وإلى ولادة العهود . . . وأعفيتك  
من لبس السواد . . . فإن شئت فالبس القطن ، وإن شئت فالبس الصوف » ! . . .

لقد هبط الفرج المفاجيء عليه هبوط النور في العين المظلمة . . . واهتزت السريرة  
المكظومة المحترقة تنفس الصعداء وتنشق تلك البرود العذبة التي أقبلت عليها  
بنفحات قدس الله . . . وانطلق اللسان الشاكر الذاكر يسجل لله نعمته . . .  
الحمد لله . . . الحمد لله . . .

# مدالاسلام وجزره

للشاعر الأوردي الأستاذ الطاف حسين حالي

ترجمها إلى العربية بشيء من التصرف القاضي محمد محمود الزبيرى

[الطاف حسين حالي من أئمة شعراء مسلمي شبه القارة الهندية وهذه المنظومة التي وضعها لاستنهاض عزائم المسلمين هي أعظم مؤلفات الشاعر كما أنها من أعظم ما أنتجته آداب الهند الإسلامية على الإطلاق . وضعها الشاعر حالي عام ١٨٧٩ باقتراح من السيد أحمد خان مؤسس جامعة عليكرة ، وقد كان لهذه المنظومة أثر بعيد المدى في إيقاد روح الوعي الإسلامي في شبه القارة حتى لقد قال الزعيم السيد أحمد خان :

( لو سألتني الله عن أفضل أعمالى لقلت : هو اقتراحى على الشاعر حالي تأليف منظومة « مدالاسلام وجزره » وليس شيء غير ذلك ) .

وقد ترجمت هذه المنظومة إلى لغات عديدة ولما كانت اللغة العربية أدنى قرابة إلى هذه اللغة وأحق بترائها الأدبي وكنوزها الإسلامية فإننا نرى أن ترجمة هذه المنظومة الأوردية إليها كان يجب أن يسبق جميع التراجم الأخرى . ومع ذلك فإننا وقد جئنا إلى ترجمتها متأخرين نرى أن العالم العربي لا يزال في حاجة إلى مثل هذه الهزة الروحية التي توقظ في أعماقه أجداد العافيه ] ..

أتى سائلٌ بقراطٍ يحذر خطبه	ويسأله فتوى تعالج كربه
ألا أى داء فى البرية مهلك	إذا مسَّ إنساناً قضى منه نخبه ؟
فقال له : لم يخلق الله مرة	لنا مرضاً إلا ويخلق طبَّه
ولكن داء هيناً لا يخافه	هو الداء يستشرى ويقتل ربه
وأخطر أمراض علينا مغبة	هو المرض السهل الذى لن نطبه
نرى أمره هوناً ونترك شره	بأقطارنا ينمو ويجمع إلبه
ونعتد أقوال الطبيب بشأنه	خرافة شيخ أصبح الهجر دأبه

\*\*\*

إذا هو فى التشخيص أعلن رأيه      زعمناه بالتشخيص يعلن عيه  
وقمنا عليه هازئين نذيقه الهوان ونسقيه من الصاب رية  
ونسلقه سلقاً بالسنة لنا      حداد نمرية وتنسج خزيه

كأن به مسَّ الجنون كأننا      حواليه أطفال نحاول كيه  
نحاذر أسباب الشفاء وإن يكن      نطاسيه الآسى لنا أو نبيه

\*\*\*

كذاك يمد الداء في الروح مده      ويبلغ بالتدريج فينا أشده  
وينزع منا الأنس بالطب والدوا      إلى أن نذوق اليأس والموت بعده  
ونكره أن نلقى الطبيب بدائفا      ولو كان سر الحى والميت عنده  
كذلك حال الشعب يوم تغوله الـغوائل في الدنيا ويفقد رشده  
وتبدو اعينيه الشمس غياها      وبصبح هذا العالم الرحب لحده  
ويجثم فيه الرعب حتى يؤده      ويطنى عليه اليأس حتى يهده  
ويحسبه من عجزه وضلاله      يعيش بهذا الكون حيران وحده  
يؤله من يقوى عليه ويعتدى      فلو عضه كلب له صار عبده

\*\*\*

أحاطت به دوامة ففرت له      فما مثل شفق الوحش يبدأ أكله  
على مركب ترغى المنيا حياه      بأمواجها الغضبي وتزار حوله  
تجرعه من هولها الجرغ التي      تؤد جناحيه وتبهض حمله  
لقد ساء خطى الفلك فالموج هائج      على رأسه والموت ينشر ظله  
وأنى له شط النجاة وإنما      يرى قبره الخالى ويرقب ذحله  
ترشح من دغر وضجت بأهله      جوانبه الفرقى لتوقظ أهله

\*\*\*

والكنهم ركب تؤوم تهزه الـمنيا فلا يجدى لها أن تهزه  
سحاب الردى من فوقه متلبداً      على رأسه والشؤم يبعث رمزه  
أحاط به الإدبار من كل جانب      وهمت به أشراطه أن تؤزه  
وأقبل صوت الحق يسأله فما      يجيب ويستفتى ويغمز غمزه  
وهل أنتم من كنتم الأمس في الورى      وهل أنتم من ضيع اليوم عزه ؟  
أيقظتم الدنيا قديماً ونتم      حديثاً كمن يغفو ليستر عجزه ؟  
لقد كنتم للكون كنزاً من المنى      فلما أضعتم ضيع الكون كنزه  
« يتبع »



# السودان المسلم

للأستاذ محمد الخير عبد القادر

(٣)

## اقتصاديات السودان :

تقرب مساحة السودان من المليون ميل مربع ، يسكنها ما يتراوح بين السبعة والتسعة ملايين نسمة من السكان ، ويبلغ عدد سكان السودان الشمالى ثلاثة أرباع هذا العدد مقابل ربع واحد للسودان الجنوبى . وتعتمد الحياة الاقتصادية فى السودان أساساً على الثروة النباتية ، وهى إما نباتات برية أو مزروعة . فالنباتات البرية تمثلها أشجار الدوم التى تنمو فى شرق السودان وبعض جهات النيل الأزرق . على أن أهم نبات برى هو الصمغ العربى الذى يستخرج من أشجار الطلح والمشاب فى مديرية كردفان التى تعتبر عاصمتها الأبيض أكبر سوق للصمغ العربى فى العالم أجمع . ويأتى الصمغ بعد القطن مباشرة فى قائمة صادرات السودان . أما المورد البرى الثالث فهو الأخشاب التى تكثر فى السودان الجنوبى مثل شجر التيك والماهوجنى ولسكنها لم تستغل بعد استغلالاً مرضياً . أما النباتات المزروعة فأولها الغلة التجارية الرئيسية وهى القطن الذى يعتبر أساس الاقتصاد القومى فى السودان كما هو الحال فى مصر ويتركز معظم إنتاجه فى أراضى الجزيرة المنبسطة حيث تبلغ مساحة الأرض المزروعة قطناً ٢٠٦ ألف فدان كما يزرع فى مديرية كسلا شرقاً وفى منطقة الزاندى فى جنوب السودان . والواقع أن أهمية السودان الاقتصادية تنحصر فى المنطقة الوسطى الواقعة بين خطى الطول ٣٦ شرقاً و ٢٤ غرباً وبين خطى العرض ١٦ شمالاً و ١٠ جنوباً . هذه المنطقة تشمل ما يزيد على الثمانيات مليون فدان صالحة للزراعة لا يستثمر منها سوى ١٤٧,٢٦٦,٢ فداناً بالزراعة المطرية و ٤٤٢,٢٢١ بالرى الصناعى و ١٩٣,٦٨٧ بالفيضات حسب إحصائية عام ١٩٢٩ ويمثل القطن ٦٦٪ من جملة صادرات السودان ، وتستأثر إنجلترا وحدها بنحو ٦٠٪ من إنتاج القطن السودانى ، ولا غرو فإن القطن كغلة تجارية مربحة كان من العوامل الهامة فى تشييد الامبراطورية البريطانية بالسودان و « مشروع الجزيرة » خير مثال للأهمية الاقتصادية الكبرى التى تعلقها « دولة الحسك الثانى » على زراعة القطن فى السودان فعملت هذه الدولة على إبراز « مشروع الجزيرة » تحت إشراف « شركة نقابات الزراعات السودانية » وهى أقدم الشركات الإنجليزية وأكبرها فى السودان ، فقد منحت هذه الشركة امتياز زراعة القطن واحتكاره بمقتضى عقد بينها وبين حكومة السودان الإنجليزية ابتداء من عام ١٩٢٥ فأصبحت الشركة المنتج الأول للقطن فى السودان تستثمر أخصب أراضى السودان الزراعية وأصلحها للرى وهى أرض الجزيرة الواقعة بين النيلين الأبيض والأزرق ، وقد تكفلت حكومة السودان بمساعدة الشركة فى إنجاز هذا المشروع الضخم فاقترضت أموالاً طائلة من الرأسماليين الإنجليز لتدعيم رأس مال الشركة حتى بلغ مجموع هذه القروض ثلاثة عشر مليوناً من الجنيهات المصرية عام ١٩٢٤ وقامت الحكومة ببناء خزان سنار الذى تم بناؤه سنة ١٩٢٥ وذلك لتسهيل رى الأراضى الزراعية لحساب الشركة ، وقد بلغت هذه الأراضى نحو مليون فدان فى الجزيرة . أما فى حوض نهر القاش

فإن الشركة تمتلك أكثر من نصف أسهم شركة كسلا الزراعية التي تشرف على زراعة القطن في ذلك الحوض ، ويحتل قطن القاش المرتبة الثانية في العالم من حيث جودة الصنف . وهكذا نرى أن مشروع الجزيرة ليس إلا مظهراً من مظاهر استغلال رأس المال البريطاني في السودان واحتكار القطن السوداني لحساب مصانع القطن في لانكشير حتى أصبحت بريطانيا هي التي تتحكم فعلاً في أسعار القطن السوداني ، فترفعها أو تخفضها كيفما شاءت ولن تكون الضحية الأولى لذبذبة أسمار القطن سوى الفلاح السوداني . ولا يقلل من شأن هذه الحقيقة أن الأرباح تقسم بين الحكومة والشركة والفلاح بنسبة ٤٠٪ و ٢٠٪ و ٤٠٪ على التوالي لأن الفلاح مطالب بدفع ثمن الماء والبذور والإرشاد الفني من نصيبه في المقاسمة وهو الـ ٤٠٪ وهذا ما ينزل بإيراده الحقيقي إلى النصف . ومن نتائج هذا المشروع أن أسواق السودان أصبحت احتكارات المنسوجات البريطانية التي تحميها حكومة السودان بفرض رسوم جمركية باهظة على المنسوجات غير البريطانية . كذلك نجم عن هذا المشروع أن ثروة السودان الاقتصادية تركزت في محصول واحد وهو القطن على الرغم مما في ذلك من خطورة على مستقبل البلاد الاقتصادية لأن المحصول الواحد مهما كانت قيمته الاقتصادية فهو عرضة للآفات غير المتوقعة وعرضة لتقلبات الظروف العالمية . وقد انتهى امتياز شركة نقابات الزراعات السودانية عام ١٩٥٠ ، وانتقل المشروع إلى يد حكومة السودان الإنجليزية .

وهناك غلات غذائية أهمها الذرة الرفيعة التي تمثل الغذاء الرئيسي لمعظم السكان . والدخن الذي يزرع في مديرية كردفان ومديرية كسلا والسهم ويعتبر ثالث صادرات السودان أهمية ويستهلك نصف إنتاجه محلياً ، وهناك القول السوداني والذرة الشامية واللوبياء . أما القمح فهو غلة شتوية كما هو الحال في مصر ويزرع في أراضي الري في المديرية الشمالية من السودان الشمالي حيث تبلغ مساحته نحو ٢٠ ألف فدان وهذا القدر لا يكفي للاستهلاك المحلي ، ولذلك يستورد القمح من خارج السودان .

ومن الأسس الاقتصادية الأخرى غير الثروة النباتية الثروة الحيوانية . فتكثر الماشية والإبل والأغنام في السودان ، وتدر تجارة الإبل على السكابيش مئات الآلاف من الجنيهات ، ويصدر لمصر منها ما قيمته مليون جنيه سنوياً ، وتباع من الماشية حوالي ٤٠ ألف رأس في العام كما تصدر الأغنام بكثرة ويرجى لهذه التجارة أن تنمو وتتسع إذا وجدت لها الضمانات الكافية ، فالأمطار التي تعتمد عليها هذه الحيوانات تنذبذب من وقت لآخر مما يسبب هلاك الكثير من قطعانها .

أما الأساس الاقتصادي الثالث في السودان فهو الثروة المعدنية ، وإن كنا لا نستطيع بحق أن نعتبرها أساساً اقتصادياً لأن أراضي السودان لم تبيح بحثاً جيولوجياً مرضياً في جميع أجزاء البلاد ، ولو أنه ليست ثمة دلائل في الوقت الحالى تبشر بخير كثير فليست هناك حقول للفحم أو البترول . وفي السودان الجنوبي يوجد قدر من الحديد ، ولكنه من مرتبة عادية لا تبرر استغلاله استغلالاً اقتصادياً مربحاً ، ويستغل الذهب على نطاق ضيق في شرق السودان وفي السودان الجنوبي أيضاً .

ولا يتخلو السودان من الصناعات المحلية مثل صناعة الصابون وصناعة الزجاج التي تتركز في المدن وصناعة الزراير في عطبرة وصناعات أخرى صغيرة كالديباغة وصناعة الأواني الفخارية .

أما ثروة السودان الجنوبي فتتمثل أساساً في أخشاب التيك والماهوجني وأشجار الفاكهة المدارية مثل الموز والمانجو والباباي والأناناس . وقد توحى هذه الغلات المدارية بإمكان قيام تجارة ناجحة فيها ، ولكن يحول دون ذلك رداءة المواصلات وبعد المنطقة عن البحر الذي يقلل من

نفقات التصدير فيتيسر الاتجار في هذه الغلات كما هو الحال في ساحل الذهب مثلاً . ولا يتسنى تصدير هذه المواد بالسكك الحديدية لوعورة المنطقة وارتفاع تكاليف التصدير . على أن الميدان الحقيقي لتجارة الفاكهة هو المديرية الشمالية في السودان الشمالى ، فهناك حقائق كثيرة في شندى ونوى ومروى غنية بالمواالح وأشجار النخيل التى تعتبر مقياس الثروة فى تلك المناطق . ويرجى لهذه التجارة رواجاً عظيماً إذا علمنا أن السودان يستورد من الفاكهة ما قيمته ثلثمائة ألف جنيه من مصر سنوياً .

من هذا العرض السريع ترى أن السودان قطر زراعى ويمكن من الناحية المناخية زراعة غلات كثيرة متنوعة مدارية وشبه مدارية ومعتدلة ، غير أن هناك عقبات تحول دون استثمار هذه الأراضي الخصبة استثماراً مرضياً ، وأهم هذه العقبات رداءة المواصلات وقلة الأيدى العاملة المدربة ونقص رؤوس الأموال وقلة أعمال الري المنظمة .

### قومية وإسلام :

فكرة القومية أو الوطنية بالمعنى الذى تمخضت عنه الثورة الفرنسية وتكيفت به أوضاع أوروبا السياسية فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين فكرة غريبة عن العالم الإسلامى لأنها ليست من طبيعة الإسلام . بل إن الإسلام هو البوتقة التى تذوب فيها الحدود الجغرافية والاختلافات العنصرية والفوارق اللغوية والنزعة الأنانية وتلك هى مقومات القومية كما عرفت أوروبا الحديثة ؛ ففكرة القومية إذن بهذا المعنى لم يعرفها السودان إلا فى ظل الحكم الثنائى وتحت تأثير الثقافة الأوربية بدليل أن الأحزاب السياسية التى تمثل الفكرة القومية لم تظهر فى السودان بصورة ملموسة إلا بعد نشوب الحرب العالمية الثانية التى اصطلح السودان بنارها وساهم فيها مساهمة فعالة استندت عليها الأحزاب السياسية فى مطالبتها بالحرية والاستقلال . وحتى بعد أن وضعت الحرب أوزارها ونشطت الأحزاب السياسية فى الدعاية لقضية الوحدة والاستقلال لم تستطع الأحزاب أن تتجاوب تجاوباً صادقاً مع الغالبية العظمى من سكان السودان إلا بقدر ولاء تلك الأحزاب لهذا الزعيم الدينى أوداك . أما قبيل نشوب الحرب العالمية الأولى فإن حكومة السودان الإنجليزية كانت ترقب فى قلق واضطراب متزايدين شعور السودانيين نحو تركيا ( مقر الخلافة الإسلامية آنذاك ) بعد أن اتضح أن تركيا ستخوض الحرب ضد بريطانيا . ومصدر القلق هو خشية الحكومة الإنجليزية من أن ينحاز شعور الشعب السودانى المسلم — على الأقل — إلى جانب تركيا ضد بريطانيا وحلفائها . بل إن القلق استبد بحاكم السودان العام فى ذلك الوقت « سير ونجت » حتى دفعه إلى الطواف بأقاليم السودان ومدنه ليدعو إلى مناصرة بريطانيا فى الحرب وإيؤال رأى السودانى العام ضد تركيا مستنداً إلى مساوىء الحكم المصرى فى السودان قبيل الثورة المهدية حينما كانت مصر تحكم السودان وهى ما زالت فى ظل التبعية لتركيا . وهكذا نرى أن الشعب السودانى كان ومازال مؤمناً « بإسلاميته » ولا أقول « بقوميته » كما شهدت بذلك الأمثلة السابقة ، وأنه من الخير أن يتصدى لقيادة هذا الشعب المؤمن أن يتحسس فيه مكنى القوة والحيوية قبل أن يمسك بزمامه ، وأن يستقرىء تاريخه قبل أن يحدد له مستقبله .

وليس معنى ذلك أننا ننكر الدور الذى لعبته الحركة القومية فى نشر الوعى السياسى فى السودان وخاصة بين الطبقات المستنيرة فإن ذلك حق لا ينكر ، ولكننا نقول إنه دور ثانوى إذا ما قيس بالرسالة التى كان يمكن أن تؤديها هذه الحركة لو أنها كانت حركة بعث إسلامى ولم تكن حركة

بمث قومي ضيق الأفق . لقد كان « مؤتمر الحريين العام » طليعة الحركة القومية في السودان ، وكان بحق أول هيئة وطنية منظمة تأسست عام ١٩٣٦ استجابة لرغبة نخبة كريمة من طبقات الحريين والمنقذين ثم اتسع نطاق عضويته فشمل كل من هو فوق مستوى التعليم الأولي ، وانتشرت لجانها في الأقاليم تجمع الأموال وتؤسس المدارس الأولية والمتوسطة ، واستطاع المؤتمر في مدى بضع سنوات أن يؤسس من المدارس الوسطى ما يربو على المدارس التي أنشأتها حكومة السودان في مدى نصف قرن من الزمان . وكان هذا النشاط الثقافي مدعاة لإقبال الجماهير على المؤتمر وتشجيعها لمشروعاته تشجيعاً أدياً ومادياً ، وما أن جاء عام ١٩٤٢ حتى وجد المؤتمر نفسه في مركز يسمح له بالتحدث باسم الطبقة المستنيرة في السودان ، فبعث بأول مذكرة سياسية إلى حاكم السودان العام يطالب فيها بإطلاق الحريات العامة وحق الشعب السوداني في تقرير مصيره ، ولكن الحكومة ردت هذه المذكرة بحجة أن المؤتمر لا يمثل الشعب السوداني ، ولم يعبأ المؤتمر بموقف الحكومة منه فأرشف مذكرته الأولى بمذكرة ثانية عام ١٩٤٥ يطالب فيها بحق السودانيين في إقامة حكومة ديمقراطية حرة في اتحاد مع مصر ، فكان مصير هذه المذكرة الإهمال أيضاً ، ولم يأبه المؤتمر لموقف الحكومة لأن مكاتته ارتفعت في أعين المواطنين فأصبح المؤتمر رمزاً للحركة الوطنية وتكثرت تحت لوائه جميع الأحزاب التي برزت إلى حيز الوجود وهي حزب الاتحاديين الذي ينادى بالاتحاد الكامل مع مصر دون أن يكون للسودان حقوق منفصلة وحزب الأحرار الاتحاديين الذي يدعو إلى استقلال السودان في ظل التاج المصري « وحزب الوحدة » الذي عرف بحزب الأشقاء ويدعو إلى إقامة برلمان واحد لمصر والسودان على أن تكون للسودان حكومة داخلية تستظل بالتاج المصري . وهناك حزب القوميين الذي يتمسك باستقلال السودان التام وعقد معاهدة مع مصر مع الاحتفاظ بالسيادة للسودانيين . ويلاحظ أن هذه الأحزاب جميعها لا تختلف إلا في تحديد نوع الاتحاد مع مصر .

والواقع أن المؤتمر كان بمثابة برلمان تتنافس هذه الأحزاب على الفوز بمقاعد من طريق الانتخابات التي تجري سنوياً والحزب الذي يفوز بأغلبية الأصوات هو الذي يدير سياسة المؤتمر على أن الخلاف مالم يثبت أن دب في صفوف هذه الأحزاب عندما قرر حزب الأشقاء — صاحب الأغلبية في المؤتمر — وحدة وادي النيل تحت التاج المصري فقاطع القوميون المؤتمر وتآلف حزب الأمة تحت رعاية السيد عبد الرحمن المهدي وتصدر حزب الأمة وحزب القوميين الدعوة لانفصال السودان التام عن مصر وعدم التقيد بالتاج المصري مع الاحتفاظ بعلاقات ودية مع كل من مصر وبريطانيا واتسعت شقة الخلاف بين الأحزاب الداعية للوحدة والأحزاب الداعية للانفصال ، وازداد الخلاف استحكماً عندما وقفت الحكومات المصرية في العهد البائد إلى جانب أحزاب الوحدة متجاهلة وجهة نظر الاستقاليين كما كانوا يسمون ، ومن العوامل التي ساعدت الدعوة إلى الانفصال تلك الحالة المزرية من الفساد التي تردت فيها مصر بحكامها وساستها وزعمائها . ثم مالم يثبت الخلاف أن دب في صفوف أكبر الأحزاب الداعية إلى الوحدة وهو حزب الأشقاء فانقسم على نفسه وكاد الجمع بين جناحيه المنقسمين يتعذر لولا أن حكومة العهد الجديد في مصر استطاعت أن ترأب الصدع وتعيد إلى الأحزاب الاتحادية وحدتها فتآلف « الحزب الوطني الاتحادي » في نوفمبر سنة ١٩٥٢ بفضل الجهود التي بذلتها الحكومة المصرية وانضوت جميع الأحزاب الداعية إلى الوحدة تحت هذا الحزب الواحد . كما عقدت الحكومة المصرية اتفاقية مع الأحزاب الاستقلالية اعترفت فيها الحكومة المصرية للسودانيين بحقوقهم في تقرير مصير بلادهم فالتقت بذلك الأحزاب الاتحادية والأحزاب الانفصالية على هدف كبير هو الجلاء وحق تقرير المصير . وبما هو جدير بالذكر أن الأحزاب الاتحادية قاطعت



جميع المؤسسات الدستورية الزائفة التي أنشأتها حكومة السودان كالمجلس الاستشارى لشمال السودان والجمعية التشريعية المنحلة ودستور الحاكم العام الجديد ولم تلتق الأحزاب الاتحادية والأحزاب الانفصالية إلا على المذكرة التي رفعتها الحكومة المصرية إلى الحكومة البريطانية وتتضمن الاعتراف بحق السودانيين فى تقرير مصيرهم وتعديل بعض مواد دستور الحاكم العام وتحديد فترة انتقال تسودن خلالها الإدارة الإنجليزية فى السودان ، وقد حددت هذه الفترة بثلاث سنين يتم بعدها تقرير المصير كما تضمنت المذكرة تكوين لجنة دولية تحد من سلطات الحاكم العام فى فترة الانتقال . أما ما يسمى بالحزب الجمهورى الاشتراكى فقد تكون منذ عام تقريباً فى ظروف غامضة وأغلبية أتباعه من زعماء العشائر ورجال الإدارة وكبار الموظفين فى حكومة السودان . وبالإضافة إلى هذه الأحزاب هناك « الحزب الجمهورى » الذى يدعو إلى الاشتراكية الإسلامية . ويؤخذ على الأحزاب السودانية جميعاً أنها على الرغم من اتفاقها على الهدف وهو الجلاء وتقرير المصير فإن وسائلها لتحقيق هذه الغاية ليست واضحة فهي جميعاً تفتقر إلى مناهج مفصلة واضحة تحدد مراحل كفاحها والأسلوب الملائم لكل مرحلة كما تفتقر إلى الروح المعنوية التى يخلق من الأفراد شعلاً متحركة .

ويعتبر اتحاد نقابات العمال أدق الهيئات السودانية تنظيماً وهو ليس حزبا سياسياً وإنما هو هيئة برزت إلى الوجود كنتيجة طبيعية للحيث الذى تنزله حكومة السودان بالعمال وخاصة عمال السكك الحديدية من غمط لحقوقهم وإهدار لمصالحهم فتكون هذا الاتحاد للدفاع عن حقوق العمال وصيانة مصالحهم والعمل على رفع مستواهم المعيشى . فأغراض الاتحاد أغراض اقتصادية خالصة ونجاح الاتحاد فى أداء رسالته يتوقف على ابتعاده عن جو السياسة لأن هذا الاتحاد يضم أكثر من مائة وعشرين ألف عامل لهم ميولهم السياسية وطوائفهم الدينية التى يدينون لها بالولاء . وإن أية محاولة للزج باتحاد العمال فى معترك السياسة ككتلة عمالية لها رأيها السياسى ، أية محاولة كهذه معناها تمزيق وحدة العمال وتحطيم اتحادهم لأن العمال ليسوا إلا جزءاً من الشعب السودانى الذى تنقسمه الأحزاب السياسية ومن فوق الأحزاب السياسية الطوائف الدينية التى سبقت الإشارة إليها .

( يتبع )

« إذا غلب الهوى أظلم القلب ، وإذا أظلم القلب ضاق الصدر ، وإذا ضاق الصدر ساء الخلق ، وإذا ساء خلق المرء أبغضه الخلق وأبغضهم ، وجفاهم ، وهناك يصير شيطاناً » .

« أبو بكر الوراق »



# في أفق العالم الإسلامي

## في الباكستان :

تطورت الحوادث في باكستان خلال الشهر الماضي تطوراً أثار قلق المسلمين في العالم كله . وكتب إلينا كثيرون من كل مكان يسألوننا عن حقيقة مايدور داخل باكستان ، وعن حالة الحركة الإسلامية فيها ، وعن مفهوم النزاع القائم والتغير الوزاري الأخير . وقد جاءت رسائلنا من باكستان نمسك عن نشرها الآن حتى نستبين وجه الحق في تفسيرها لكل ماحدث . وتناشد حكومة باكستان الجديدة أن تقدر آمال الناس فيها حق قدرها ، والأمانة الثقيلة في عنقها ، وأن تذكر دائماً أن أصدقاءها الكثيرين في العالم الإسلامي إنما يربطهم بها « رابطة الإسلام » وأن دعاة الإسلام والغيورين عليه في كل قطر يرقبون كل جديد فيها ويتابعونه بكل مشاعرهم وحواسهم ، وهي مسئولة أن ترعى هذه المشاعر وتحرص عليها ، وإن يكون ذلك إلا برعاية أمانة الإسلام الذي أنشأ باكستان وجمع قلوب أهلها وضجوا في سبيله ماضحوا ، والذي لفت قلوب المسلمين في العالم إليها فجعلهم يضرعون إلى الله أن يؤيدها وبأخذ بيدها لتحقيق الأمل الكبير فيها .

## الإسراء والمعراج في بيت المقدس :

حفل بيت المقدس في يوم الإسراء والمعراج بوفود المسلمين من البلاد الإسلامية ، وغص بشباب الدعوة الإسلامية من سائر بلاد فلسطين وشرق الأردن . وقد سافر الأستاذان محمود عبده قائد متطوعي الإخوان المسلمين وسعيد رمضان مندوبين عن المركز العام للإخوان لإحياء ذكرى الإسراء والمعراج في موطن الإسراء والمعراج .

وقد أقام الإخوان المسلمون معسكراً كبيراً حضرته فرق جواله شعب الإخوان في الضفتين الشرقية والغربية وأقاموا فيه ثلاثة أيام أشاعت في مدينة القدس جوا من الإيمان الفاسر والحماسة الدافقة وروح الاستعداد لليوم الفصل . كما نظم الإخوان حفلاً ضم حشداً هائلاً تكلم فيه فضيلة الشيخ محمد أسعد الإمام سكرتير الهيئة العلمية الإسلامية في القدس ، والسيد محمد خليفة المراقب العام للإخوان المسلمين بالأردن ، وفضيلة الشيخ عبد الحميد السائح رئيس محكمة الاستئناف الشرعية وفضيلة الشيخ محمد محمود الصراف مندوب الوفد العراقي ، والمجاهد محمود عبده قائد متطوعي الإخوان في حرب فلسطين ، والشيخ عبد الرؤوف أبو طوق عن الوفد السوري ، والشيخ محمد الحسن ممثل العلامة الأستاذ محمد الحسين آل كاشف الفطار ، وكانت خاتمة الحفل كلمة الأستاذ سعيد رمضان .

وقد نزل أعضاء الوفود ضيوفاً على الهيئة العلمية الإسلامية بالقدس التي أشرفت على تنظيم برنامج زيارتهم للقدس والخطوط الأمامية ، وأقامت حفلاً كبيراً لاستقبالهم في فناء المدرسة العمرية .

وقد تكون من أعضاء الوفود لجنة انتخب لعضويتها أصحاب الساحة والفضيلة أجد الزهاوي ، محمد محمود الصواف ، أبو الفرج الخطيب ، محمد حسن الشخصى ، سعيد رمضان ، محمود عبده ، عبد الرؤوف أبو طوق ، محمد الأمين الشنقيطى ، عبد الله عزت ، عبد الحميد السائح ، محمد علي الحبيرى . واختير فضيلة الشيخ حلمي المحنوب سكرتيراً للجنة .

وقد عقدت هذه اللجنة جلساتها في بيت المقدس وصدر عنها البيان التالي :

١ - اجتمعت الوفود الإسلامية في يوم السبت الواقع في السابع والعشرين من رجب سنة ١٣٧٢ هـ الموافق للحادي عشر من يناير سنة ١٩٥٣ م في مدينة بيت المقدس بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج وبعد المداولة تقرر مايلي :

١ - أن يكون يوم ذكرى الإسراء والمعراج الشريف من كل سنة يوم احتفال عام في القدس يحضره ممثلون لأقطار العالم الإسلامي جميعاً ويتدارسون واجب المسلمين نحو البلاد المقدسة ، وتدعو الوفود المجتمعة هذا العام المسلمين جميعاً لإيفاد من يمثلهم في العام القادم .

٢ - تذكير المسلمين بأن قضية فلسطين هي قضية الإسلام الكبرى ، وإفادها فرض على كل مسلم .

٣ - دعوة المسلمين إلى إيفاد بيت المقدس والمبادرة إلى جمع المال لتحقيق الأمور الآتية :

( أ ) إنشاء مدارس لأيتام المسلمين وفقرائهم توفر لهم العلم وتحمي عقائدهم .

( ب ) إيفاد الممتلكات الإسلامية والعمل على بقائها في أيدي المسلمين .

( ج ) إنعاش الحالة الاقتصادية لإخواننا في بيت المقدس بشتى الوسائل .

٤ - مناشدة الحكومات والشعوب الإسلامية للمبادرة إلى عمارة المسجد الأقصى المبارك وإصلاح ماخربته قنابل اليهود .

٥ - إن النصر الذي ينشده المسلمون في قضية فلسطين وسائر قضاياهم يتطلب عودة صادقة إلى عقيدة الإسلام وأخلاقه ، فنناشد الحكومات والهيئات العاملة للإسلام أن تهتم بتربية الشباب والناشئة وتثقيفهم ثقافة إسلامية واعية .

وستتخذ الإجراءات العملية لتنفيذ هذه المقررات ، والله ولي التوفيق .

### إسلامية الدستور المصري :

تأتي بعض الناس دعوات لحضور اجتماع يستمعون فيه إلى محاضرة عن البهائية ويشهدون فيلما سينمائياً عن نشاطها في ( أمريكا ) ! .

ولسنا ندرى كيف يسمح بمثل هذا النشاط في مصر بعد أن كان لايجزأ بهائي عليه ، ونخشى أن يكون هذا هو مدلول حرية العقائد في الدستور المؤقت . ونذكر رجال الحكم في مصر بأن تغيير الدستور يجب أن يكون إلى « أحسن » وأن إسلامية الدستور القديم أساس يدين به المسلمون في مصر وهم أغليتها ، ويؤمنون أنه في ظله - لا على حسابه - يجب أن يقوم التسامح الذي فرضه الإسلام .

### إسرائيل تعاني سكرات الموت :

ننشر المقال التالي الذي نشرته مجلة تايم الأمريكية ، ننشره لطرافته غير مصدقين ولا مكذبين :

« جلس أهالي إسرائيل اليهود إلى وليمة عيد الفصح وهو أكر أعيادهم ليحتفلوا بخلاصهم من الأسر وعودتهم إلى أرض الميعاد قبل ثلاثة آلاف سنة . وقد أصبحت هذه الأرض لهم الآن ولكن ليس لديهم إلا القليل الذي يمكن أن يهجمهم .

فقد أعلنت حكومة ابن غوريون مؤخراً تخفيضاً جديداً لليرة اليهودية في خلال ١٣ شهراً ، فأصبحت الليرة اليهودية التي كانت في الأصل تساوي دولارين وثمانين سنتاً ثم دولاراً و ٤٠ سنتاً في السنة الماضية للسياح ودولاراً للمستثمرين ، أصبحت الآن تساوي دولاراً واحداً في جميع الحالات ، ولكن هذا الرقم لا يتفق مع الواقع ، فإن قيمة الليرة اليهودية في بورصة ترورغ المالية لاتساوي أكثر من ٤٠ سنتاً أميركياً ( أقل من ١٦٠ ملياً ) .

وإسرائيل ، كحل في الصحراء ، تقاتل اليوم وتحارب لتعيش وتستمر في العيش حتى تبدأ المعارك الطويلة الأجل تؤتي ثمارها . وتقنين الغذاء في إسرائيل أشد كثيراً من أى تقنين عرفته بريطانيا ، فالشخص لا يتناول أكثر من ٢ كيلو من اللحم و كيلو من البطاطس ونصف كيلو من السمك المقدد في الشهر . أما البضائع غير المغننة فأسعارها مرتفعة لدرجة جنونية .

وبدلاً من أن تصلح الحال فإن تخفيض العملة اليهودية في السنة الماضية قد زادها سوءاً فارتفعت الأسعار في الداخل ولكن التخفيض لم يكن كافياً لكي تباع البضائع الإسرائيلية بأسعار تستطيع أن تنافس معها البضائع الخارجية . وكان من نتيجة ذلك أن الفرق في الميزان التجاري زاد من نسبة ٧ إلى ١ حتى بلغ ٩ إلى ١ في سنة ١٩٥٢ .

وقد اضطرت المصانع بعد أن عجزت عن الحصول على العملة الأجنبية إلى أن تخفض إنتاجها بنسبة ٣٠ بالمائة وقد فسكت آلات مصنع فيلبس للأدوات الكهربائية في ناثانيا ونقلت المعدات إلى هواندا ، ولجأت الحكومة بعد ذلك إلى فرض قرض إجباري مقداره ١٠ بالمائة على النقد ثم فرضته على الأملاك ، وجاءت أول عملية لتخفيض العملة عندما كانت جيوب الشعب مملوءة ومخازنه خالية من البضائع ، أما في هذه المرة فقد جاءت العملية وجيوب الشعب فارغة بينما المخازن عامرة بالبضائع ولكن لا تجد من يشتريها !

وقد ارتفع عدد العمال العاطلين إلى ٤٠ ألفاً . وإسرائيل الآن لا تستطيع مطلقاً أن تعيش على مواردها الخاصة . والمبالغ الضخمة التي كانت ترد إليها من الخارج بدأت تقل الآن ، فقد تلقت إسرائيل من أمريكا وحدها في سنة ١٩٥٢ ألف مليون دولار .

### إسرائيل تضاعف قواتها :

قال ابن غوريون رئيس وزارة إسرائيل في إذاعة له : إن أكثر من أربع سنوات قد انتهت على وقف الأعمال الحربية ، ولكن جيراننا مازالوا يرفضون عقد الصلح معنا ، ولهذا يجب علينا أن نواصل ونحسن استعدادنا الحربي ، فنحن لا نريد حرباً ولا حالة حرب ، بل كنا ومازلنا نفضل السلام على الحرب . أما إذا أراد جيراننا المحافظة على الحالة الحاضرة وبقائها فإننا نستطيع أن نحمّل هذه الحالة كما يحتملونها هم تماماً .

وبعد أن تحدث عن مواصلة التسليح لدى العرب واستمرار زيادة قواتهم اعترف بأن إسرائيل ضاعفت قواتها وعتادها الحربي ثلاث مرات ، وهذا غير تقدمها في الفنون العسكرية ، ولكن أعداء إسرائيل واصلوا هذا العمل أيضاً .

ثم ختم بقوله : إن تاريخ إسرائيل يحتم على شبابها أن يقهروا الصحراء ويسيطروا على البحر والمجال الجوي وموارد التروة الطبيعية في البلاد .

### في أندونيسيا :

كتبنا في العدد الماضي في معرض الحديث عن الجماعات الإسلامية في أندونيسيا شيئاً عن « دار الإسلام » ونرجو أن يكون مفهوماً أننا لم نقصد بما نشرناه أن نبدي رأياً خاصاً ، وإنما ذكرنا ما نقوله مجلة أمريكية وما نقوله هي عن نفسها ، وفاتنا أن نذكر أن الحكومة الأندونيسية تعتبر دار الإسلام خارجة على القانون ، وتتهمها بمحوادث الشعب الكثيرة في أندونيسيا وتراها خطراً يهدد سلامة البلاد .



## أخبار متفرقة

● أقامت السفارة الأفغانية احتفالاً كبيراً بمناسبة ذكرى السيد جمال الدين الأفغاني رضي الله عنه ، حضره جمهور كبير من رجال الأقطار الإسلامية ، وخطب فيه أساتذة كبار ، وبقدر ما أعجبنا جمال الاحتفال آلمنا أن أكثر من تحدثوا فيه حرصوا على البعد عن معاني الإسلام في شخصية جمال الدين الأفغاني . فكانوا بذلك يتحدثون عن شخص غير جمال الدين ، ويجحدون الفضل في جهاده ، فإنه رحمه الله لم يعرف غير الإسلام والمسلمين ولم يجاهد لغير ذلك ، وأولى بالذين لا يعرفون ذلك فيه ألا يتحدثوا عنه وألا يظلموا ذكره . . . لأنهم إن جبنوا عن حمل أمانة الإسلام ومنازلة أعدائه ، فإنه من الخير لهم ألا يتعرضوا لأمثال ذكرى جمال الدين ، فهي تفضح جبنهم وتثير فائرة جند الإسلام عليهم . . .

● استخدمت السلطات البريطانية كل ما تدر عليه من قوة من مصفحات وجواسيس وكلاب بوليسية ومدافع سريعة الطلقات للقضاء على حركة « التمرد على الاستعمار » البريطانية في كينيا ، وقد اقترح الزعماء السياسيون الأوربيون في كينيا تنفيذ عقوبة الإعدام في الوطنيين الذين يلتقي القبض عليهم علناً في الميادين العامة .

● منحت إسرائيل سبع شركات ( أمريكية ) التصريح بالتنقيب عن البترول في إسرائيل .

● في جلسة من جلسات الجمعية الوطنية في كراتشي انسحب أعضاء الجمعية احتجاجاً على استعمال اللغة الانكليزية أثناء مناقشة ميزانية ولاية بيشاور .

● رفضت حكومة جنوب أفريقيا السماح لقسيس من الأمريكيين ( السود ) بدخول بلادها !

● قدم أحد الهنود في بومباي ابنه الصغيرة وعمرها سنتان ونصف ضحية لما يسمونه ( الآلهة كالي ) لكسب عطفها فضرب رأس ابنته بقاعدة التمثال فتحطم .

● صرح السيد فؤاد خلوصي النائب الديعقراطي لمدينة استانبول في مؤتمر صحفي عقده في بيروت بقوله : « يجب إقامة اتفاق دفاعي بين تركيا والدول العربية لمواجهة كل اعتداء يمكن أن تعرض له هذه المنطقة من العالم » واستطرد يقول « إن تركيا لا تؤيد فكرة توسع إسرائيل لأنها تعتقد أنها ستكون خطراً كبيراً لاعلى البلاد العربية وحدها بل عليها » .

● أطلق شاب ( أرثوذكسي ) النار على رئيسة « أخوات الرحمة » في استنبول واحدى الراهبات فيها فأصيبتا بجراح خطيرة وذلك بسبب اعتناق شقيقته المذهب ( الكاثوليكي ) رغم موافقة والديها .

● أذيع أن بعض شركات البترول الأمريكية قد بدأت العمل للتنقيب عن البترول في المنطقة المستقلة الواقعة بين المملكة العربية السعودية والكويت ، وقال المتحدث بلسان الشركة ( المستقلة ) لغرب الباسفيك للبترول أن البئر التي اكتشفت في هذه المنطقة تدر ( ٥٠٠ ) برميل من البترول يومياً .

● قامت وكالة الاسوشيتد پرس بإحصاء في عشر دول للجرائم التي ترتكب وعددها ونوعها وقد اتضح أن ( الجرائم الجنسية ) هي الوحيدة التي لاتزال منتشرة في أوروبا ، وأن بريطانيا وفرنسا تتنافسان على تسجيل الرقم القياسي في كل أنواع الجرائم !

● قدم ( روجر ليونز ) للتحقيق معه في مجلس الشيوخ الأمريكي بتهمة ( الإلحاد ) والمذكور هو رئيس ( القسم الديني ! ) في محطة صوت أمريكا ! . . .

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## محتويات هذا العدد

صفحة	
١	في بيت المقدس ... .. للأستاذ سميد رمضان
٧	قصص القرآن : نوح عليه السلام ... .. للأستاذ البهي الحولى
١٣	السنة ... .. لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى السباعي
١٧	شريعة الله ... .. لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة
٢٣	العصبية الإسلامية فوق العصبية ... .. لأبي نعمان المهاجر
٢٦	مجتمع عالمي ... .. للأستاذ سيد قطب
٣٣	من فقه القرآن والسنة : شروط البيع ... .. للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى
٣٨	خاطرة : القلج ياسعيد ... .. للتحرير
٢٩	السياسات الاقتصادية في الاسلام ... .. للأستاذ محمود أبو السعود
٤٤	في الإسماعيلية : ... .. للإمام الشهيد حسن البنا
٤٩	الفهرست المحدثي ... .. لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى أحمد الزرقا
٥٦	مصر والحياد ... .. للشيخ أشرف أركان حرب أبو المكارم عبد الحى
٦٣	سبعات فكر ... .. للأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام
٦٥	التفاوت في الأرزاق ... .. للأستاذ الدكتور محمد صالح « رحمه الله »
٧١	النظام الرأسمالي الجديد ... .. للأستاذ السيد أبي الأعلى المودودي
٧٤	شكوى في كل مكان ... .. لسماحة الأستاذ عبد الله كنون
٧٧	باب الكتب : نقد وتعريف ... ..
٨١	ندوتنا ... .. للتحرير
٨٨	إن لبدنك عليك حقاً ... .. بإشراف الأميرالاي الدكتور أحمد الناقه
٩٠	مع العارفين : أحمد بن حنبل ... ..
٩٣	مد الإسلام وجزره ... .. للشاعر الأوردي الأستاذ الطاف حسين حالي
٩٥	السودان المسلم ... .. للأستاذ محمد الحير عبد القادر
١٠٠	في أفق العالم الإسلامي ... .. للتحرير
١٠٤	الفهرس ... ..